



## عناصر الموضوع

114	مفهوم الكتب المنزلة
119	الألفاظ ذات الصلة
171	الحكمة من إنزال الكتب
371	الكتب المنزلة وخصائصها
184	الكتب المنزلة والموقف منها
108	القرآن الكريم والكتب المنزلة قبله

## مفهوم الكتب المنزلة

# أولًا: المعنى اللغوي.

الكتب المنزلة: مركب من موصوف (الكتب) وصفة (المنزلة).

الكتب لغة: الكتب جمع كتاب، وهو من الفعل كتب، وأصل معناه: الضم والجمع، قال الراغب بعد أن بين كون أصل الكلمة من ضم الشيء للشيء: «والكتاب في الأصل مصدر، ثم سمي المكتوب فيه كتابا، والكتاب في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيه» (١١). وقال النحاس: «وقيل كتاب لما جمع فيه. يقال: كتبت الشيء أي: جمعته» (٢٠).

كما تدل مادة «كتب»: على الفرض والإيجاب والتقدير، قال تعالى: ﴿ يَمَا يُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي ٱلْفَعْلَمْ ﴾ [البقرة: ١٧٨].

المنزلة لغة: المنزلة اسم مفعول من الفعل نزل، فعل، مفعلة، والمنزلة: اسم مفعول من أنزل، أفعل، مفعلة، والمنزلة اسم مفعول من أنزل، أفعل، مفعلة. نزل بالمكان، «ونزله نزلة واحدة، ونزل من علو إلى أسفل، ونزل في البئر، ونزل عن الدابة. وهذا منزل القوم. واستنزلوهم من صياصيهم، وأنزل الله الغيث، وأنزل الكتاب ونزله، وتنزلت الملائكة. (٣) والنزول في الأصل: انحطاطٌ من علو. يقال: نزل عن دابته، ونزل في مكان كذا: حط رحله فيه، وأنزله غيره. قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي اللهِ المؤمنون: ٢٩].

«ونزل بكذا، وأنزله بمعنى، وإنزال الله تعالى نعمه ونقمه على الخلق: إعطاؤهم إياها، وذلك إما بإنزال الشيء نفسه كإنزال القرآن، وإما بإنزال أسبابه والهداية إليه، كإنزال الحديد واللباس، ونحو ذلك (٤٠).

## ثانيًا: المعنى الاصطلاحي

الكتب المنزلة هي الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه لهداية الناس. فتشمل ما أخبرنا الله عنه: صحف إبراهيم، والتوراة والزبور والإنجيل، وكذلك القرآن الكريم، إضافة إلى ما أنزله الله ولم يقص علينا خبره.

<sup>(</sup>٤) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي ٥/ ٣٩.



<sup>(</sup>١) المفردات، الراغب الأصفهاني ص ٦٩٩

<sup>(</sup>۲) معانى القرآن، النحاس ١/ ٩٧.

<sup>(</sup>٣) انظر: بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي ٥/ ٣٩، المفردات، الراغب ص ٧٩٩.

#### الألفاظ ذات الصلة

### ١ القرآن:

#### القرآن لغة:

القاف والراء والياء أصل صحيح يدل على الشيء المجموع، وقرأت الشيء قرآنًا: جمعته، وضممت بعضه على بعض، وقرأت الكتاب قراءةً وقرآنًا، ومنه سمي القرآن؛ لأنه يجمع السور فيضمها(١).

#### القرآن اصطلاحًا:

كلام الله تعالى، المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، بواسطة سيدنا جبريل عليه السلام، المتعبد بتلاوته، المنقولُ إلينا بالتواتر، المقروءُ في المصاحف، المبدوء بسورة الفاتحة والمنتهى بسورة الناس» (٢).

#### الصلة بين القرآن والكتب المنزلة:

القرآن الكريم آخر الكتب المنزلة من الله عز وجل إلى أنبيائه لهداية الناس.

### ٢ التوراة:

#### التوراة لغة:

قال أبو حيان: «التوراة: اسمٌ عبرانيٌ، وقد تكلف النحاة في اشتقاقها، وفي وزنها، وذلك بعد تقرير النحاة أن الأسماء الأعجمية لا يدخلها اشتقاقًا، وأنها لا توزن، يعنون اشتقاقًا عربيًا» (٣).

#### التوراة اصطلاحًا:

«التوراة اسمٌ للكتاب المنزل على موسى عليه السلام»(٤).

الصلة بين التوراة والكتب المنزلة:

التوراة هو الكتاب الذي أنزله الله على موسى عليه السلام.

<sup>(</sup>١) انظر: الصحاح، الجوهري ١/ ٢٤، مجمل اللغة، ابن فارس ١/ ٧٥٠.

<sup>(</sup>٢) انظر: التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، صالح الفوزان ص٦٦.

<sup>(</sup>٣) البحر المحيط ٣/ ٥.

<sup>(</sup>٤) المصدر السابق.

## ٣ الإنجيل:

## الإنجيل لغةً:

قال ابن منظور: «الإنجيل: كتاب عيسى، على نبينا وعليه -الصلاة والسلام-، يؤنث ويذكر، فمن أنث أراد الصحيفة، ومن ذكر أراد الكتاب» (١). ويجمع على أناجيل.

وقد اختلف العلماء في أصله اللغوي وهل هو عربي أو معرب، والراجح هو أن كلمة الإنجيل معربة.

#### الإنجيل اصطلاحًا:

كلمة إنجيل إذا أطلقت فلها معنيان:

الأول: الكتاب المنزل من عند الله تعالى على المسيح عليه السلام، وهو مفقود، ولم يبق منه إلا نتف قليلة مما بين أيدي النصارى الآن، قال الطاهر بن عاشور في تعريفه بهذا المعنى: «اسمٌ للوحى الذي أوحى به إلى عيسى عليه السلام فجمعه أصحابه» (٢).

الثاني: الإنجيل الذي تعظمه النصارى الآن، وهو عبارة عن: «أربعة كتبٍ تعرف بالأناجيل الأربعة».

الصلة بين الإنجيل والكتب المنزلة:

الإنجيل هو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام.

<sup>(</sup>۲) التحرير والتنوير، ۳/ ۱٤٩.



<sup>(</sup>١) لسان العرب، ٦٤٨/١١.

## الحكمة من إنزال الكتب

لا يمكن للبشرية في مسيرتها أن تحتكم لعقولها القاصرة ولا لأهوائها الجامحة المتباينة ولا لتجاربها المحدودة، ولا للحدس أو التخمين، أو غير ذلك من وسائل المعرفة والإدراك أو الظنون والأوهام أو الخرافات والأساطير، فمع أهمية العقل وضرورة الحواس وقيمة التجارب الإنسانية لكن ذلك لا يكفى ولا يشفى، إذ لا غنى للبشرية عن هداية السماء، ولا رشاد لهم إلا بدعوة الأنبياء، من هنا ندرك قيمة الكتب الإلهية المنزلة وأهميتها ومقاصدها، فلقد نزلت هداية ورحمة، ونورا وحكمة، وبيانا وتفصيلا، نزلت لإخراج الناس من ظلمات الجهل والكفر إلى نور الإيمان والعلم، نزلت هداية للبشرية وتبيانا، ومنهاجا ونبراسا لها في طريقها، نزلت بالأخبار والبشارات، للعظة والاعتبار، والترغيب والترهيب، وقد بين القرآن ذلك كله أصدق بيان وأجلى برهان.

## أولًا: إخراج الناس من ظلمات الكفر والشرك إلى نور التوحيد:

الحكمة من إنزال الكتب هداية الناس وتبصيرهم، وإخراجهم من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان.

قال تعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ وَامَنُوا

# يُخْرِجُهُم مِنَ ٱلظُّلُمَنتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴿ [البقرة: ٢٥٧].

فالله تعالى يتولى عباده المؤمنين ويخرجهم من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد، بإرسال الرسل وإنزال الكتب.

وأنبياء الله تعالى جاءوا بالحجج النيرات والآيات الواضحات مؤيدين بالكتب التي تنير الطريق لهم ولمن اتبعهم.

قال تعالى: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِبَ رُسُلُّ مِن قَبْلِكَ جَاءُو بِالْبَيْنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْمِكَنْبِ الْمُنْدِ (الْمَالُ مُن اللَّهُ اللْلِهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللِّهُ اللَّهُ اللْلِهُ اللَّهُ اللَّالِمُ اللَّالِمُ اللَّالِمُ اللَّهُ اللْمُواللَّا اللَّالِي ا

وبين تعالى أن غاية رسالة موسى عليه السلام إخراج قومه من ظلمات الكفر والجهل والظلم إلى نور الإيمان والعلم والعدل.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدُ أَرْسَكُنَا مُوسَى إِنَّا يَكِنِنَا أَنَ أَخْرِجُ فَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِرَهُم بِأَيْنِمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَابَنْتِ لِكُلِّ مَكْبَادٍ شَكُورٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَابَنْتِ لِكُلِّ مَكْبَادٍ شَكُورٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَابَنْتِ لِكُلِّ مَكْبَادٍ شَكُورٍ

قال الماتريدي: «وعلى ذلك بعث جميع الرسل والأنبياء، بعثوا ليخرجوا قومهم من الظلمات إلى النور»(١).

إن وظيفة الرسل وغاية إنزال الكتب إخراج الناس من الظلمات التي تغشاهم

<sup>(</sup>۱) تأويلات أهل السنة، الماتريدي ٦/٣٦٣.

وتحيط بهم إلى النور الذي يضيء لهم دروبهم ويهديهم سبلهم. قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنْزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرِ مِن مَى أَنْزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرِ مِن مَى أَنْزَلَ اللّهَ عَلَى بَشَرِ مِن مَى أَنْزَلَ الْكِكْتَبَ الّذِى جَاءً بِهِ مُوسَىٰ فُورًا وَهُدَك لِنْنَاسِ ﴿ وَهُدَك لِلنّاسِ ﴿ وَهُدَك لِلنّاسِ ﴾ [الأنعام: ٩١].

وفي القرآن الكريم آياتٌ كثيرةٌ تبين لنا أن أعظم مقاصد القرآن إخراج الناس من الظلمات المدلهمة إلى النور السافر.

قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِى يُمَزِّلُ عَلَىٰ عَبْسِدِهِ اللهِ عَلَىٰ عَبْسِدِهِ اللهِ عَلَىٰ عَبْسِدِهِ اللهِ عَلَىٰ عَبْسِدِهِ اللهُ اللهُوَّرِ وَإِنَّ الطُّلُمَنتِ إِلَى ٱلنُّوَرِّ وَإِنَّ اللهُ يِكُولُونَ وَفَّ رَحِيمٌ اللهُ ﴾ [الحديد: ٩].

﴿ رَسُولًا يَنْلُواْ عُلَيْكُوْ عَالِنَتِ اللَّهِ مُبَيِّنَتِ لِيُخْرِجَ اللَّهِ مُبَيِّنَتِ لِيُخْرِجَ اللَّهِ مُبَيِّنَتِ لِيُخْرِجَ اللَّهِ مُبَالِمُنَاتِ إِلَى الظَّالْمُنَتِ إِلَى النَّالُونَ اللَّهُ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنَ الظَّالْمُنَتِ إِلَى النَّورَ ﴾ [الطلاق: ١١].

﴿ الْرَّ كِتَنَبُّ أَنْزَلْنَهُ إِلَيْكَ لِلْخَرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَنتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمُ إِلَى مِنَ الظُّلُمَنتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمُ إِلَى مِنَالِ الْمَزِيزِ الْحَمِيدِ ( ) ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُولِي اللهُ الله

ألا ما أحوج الإنسانية لهذا النور الذي يضيء لهم دروب حياتهم المتشعبة، ويبصرهم حين يمشون بين الناس، ويكشف لهم ظلام الشك والشهوات.

قال تعالى: ﴿أَوْمَن كَانَ مَيْتَا فَأَخْيَلَنْكُ وَجَمَلْنَا لَهُ فُورًا يَمْشِى بِهِ فِالنَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ وَجَمَلْنَا لَهُ فُورًا يَمْشِى بِهِ فِالنَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ فِي الظَّلْمَنْتِ لَيْسَ بِخَارِج مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فلا يستغني الناس عن النور الذي يضيء لهم سبلهم، ومن حرم من النور الرباني

عاش حياته متخبطا في الظلمات ﴿ وَمَن لَرُ يَجْمَلِ اللهُ اللهِ النور: ٤٠].

قال ابن القيم: «فالظلمات: جمع ظلمة، وهي ظلمة الجهل، وظلمة الكفر، وظلمة ظلم النفس بالتقليد واتباع الهوى، وظلمة الشك والريب، وظلمة الإعراض عن الحق الذي بعث الله تعالى به رسله صلوات الله وسلامه عليهم. والنور الذي أنزله معهم ليخرجوا به الناس من الظلمات إلى النور»(۱).

ثانيًا: التفريق بين الحق والباطل وإقامة العدل في حياة الناس:

من مقاصد إنزال الكتب إحقاق الحق وإبطال الباطل، فالكتب هي الفارقة بين الحق والباطل، والكتب هي الداعية إلى إقامة موازين العدل بين الناس.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِنَاتِ
وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِئْلَبَ وَالْمِيزَاتَ لِيَقُومَ
النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْقَلِيدَ فِيهِ بَأْسُ شَدِيدٌ
وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَصُرُهُ، وَرُسُلَهُ،
بِالْفَيْبِ إِنَّ اللَّهُ فَوِئَ عَزِيزٌ ﴿ آ ﴾ [الحديد: ٢٥].

عن مجاهدٍ، وقتادة: «الميزان هو العدل»(۲).

وقال القشيري: «أي: أرسلناهم مؤيدين بالحجج اللائحة والبراهين الواضحة،

- (١) التفسير القيم، ابن القيم ص ٤٠٠.
  - (٢) تفسير مجاهد ص ٥٨٩.

وأزحنا العلة لمن أراد سلوك الحجة المثلى، ويسرنا السبيل على من آثر اتباع الهدى والدليل، وأنزلنا معهم الكتب المنزلة، والميزان أي: الحكم بالقرآن، واعتبار العدل والتسوية بين الناس» (۱).

وقال السعدي: «الميزان: العدل والاعتبار بالقياس الصحيح والعقل الرجيح، فكل الدلائل العقلية من الآيات الآفاقية والنفسية والاعتبارات الشرعية والمناسبات والعلل والأحكام والحكم داخلة في الميزان الذي أنزله الله تعالى ووضعه بين عباده، ليزنوا به ما اشتبه من الأمور، ويعرفوا به صدق ما أخبر به وأخبرت رسله»(٢).

فكما أنزل الله الكتاب أنزل الميزان. قال تعالى: ﴿ اللهُ الَّذِي آنزَلَ الْكِنْبَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانُّ وَمَا يُدُرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿ اللهِ الشَاعَةَ قَرِيبٌ ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ المُلْمِلِي اللهِ المِلْمُلِي اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ المُلْمُلِي اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ المُلْمُلِي المُلْمُلِي المُلْمُلِي المُلْمُلِي المُلْمُلِي المُلْمُلِي المُلْمُلْمُلِي المُلْمُلِيِ المُلْمُلْمُلِي المُلْمُلِي المُلْمُلِي المُلْمُلِي المُلْمُلْم

وسميت التوراة بالفرقان لكونها فارقة بين الحق والباطل قال تعالى: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِنْكِ وَالْفُرْقَانَ لَمَلَكُمْ نَهْتَدُونَ ﴿ وَإِلْفُرْقَانَ لَمَلَكُمْ نَهْتَدُونَ ﴿ وَالْفُرْقَانَ لَمَلَكُمْ نَهْتَدُونَ ﴿ وَالْفُرْقَانَ لَمَلَكُمْ نَهْتَدُونَ ﴿ وَالْفُرْقَانَ لَمَلَكُمْ مَهْتَدُونَ ﴿ وَالْفُرْقَانَ لَمَلَكُمْ مَهْتَدُونَ ﴿ وَاللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَلَا لَا لَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالَّالَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِي اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّالِمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّا لَا اللَّالْمُولَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

﴿ وَلَقَدْ ءَانَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـُدُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيئَةُ وَذِكْرُ لِلْمُنَقِينَ ﴿ اللهِ اللهِ الأنبياء: ٤٨]. كذلك سمي القرآن بالفرقان قال تعالى: ﴿ زَنَ عَلَيْكَ ٱلْكِنْبَ بِٱلْحَقِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

وَأَنزَلَ ٱلتَّرْرَيْةَ وَٱلْإِنْجِيلَ (آ) مِن قَبْلُ هُدُى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرُقَانَّ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَدتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابُ شَدِيدُ أَن وَاللَّهُ عَنِيدٌ ذُو ٱننِقامِ (الله عمران: ٣ - ٤].

﴿ مَا لَكُ ٱلَّذِى نَزُّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِمِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا اللهِ الفرقان: ١].

فالفرقان: «ما يفرق بين الحق والباطل، وبين المشتبه والواضح، وبين ما يؤتى ويتقى، وبين ما عليهم ولهم» (٣).

ثالثًا: بيان تكاليف العباد من العبادات والمعاملات وغيرها:

خلق الإنسان لعبادة ربه جل وعلا قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلِجِّنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعَبُدُونِ النَّارِيات: ٥٦].

ولم تترك عبادة الله تعالى لاجتهادات الناس وأفكارهم، وإلا لذهب الناس فيها كل مذهب، وصارت لهم فيها فنونٌ؟ بل كانت العبادات وفق ما جاء به الرسل ونزلت به الكتب قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِ مُنْهَا فَوْرَكُ أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَالْجَنَيْبُوا الطّعُورَ أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَالْجَنينِبُوا الطّعُورَ أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَالْجَنينِبُوا الطّعُورَ فَي فَي اللّهُ وَمِنهُم مّن حَقّت عَلَيهِ فَي اللّهُ وَمِنهُم مّن حَقّت عَلَيهِ الضّلَلَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ الضّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ اللّهَ لَا اللّهُ وَمِنهُم مَن حَقّت عَلَيهِ اللّهَ مَن عَقِبَهُ الْمُكَذّبِين اللّهُ وَاللّهِ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ الل

فأرسل الله رسله كما أنزل كتبه لأسمى

<sup>(</sup>٣) تأويلات أهل السنة، الماتريدي ٧/ ٣٥٠.

<sup>(</sup>١) انظر: لطائف الإشارات، القشيري ٧/ ٣٩٣.

<sup>(</sup>٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٥٦٥.

الغايات وهي عبادته تعالى وتنظيم حياة الناس وإصلاح معاملاتهم. فجميع ما جاء به الأنبياء عليهم السلام خرج من مشكاة واحدة وقصد إلى غاية واحدة هي: هداية البشرية وإمدادها بالزاد الروحي والقبس الإيماني الذي يضيء دروب الحياة، ويصلح المعاش والمعاد.

قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ مُوحًا وَالَّذِينَ آوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ۚ أَنَّ أَقِمُوا ٱلدِّينَ وَلَا بِهِ إِبْرَهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ۚ أَنَّ أَقِمُوا ٱلدِّينَ وَلَا لَنَعْرَفُهُمْ لَنَعْرَفُوا فِيهِ كُبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ لِنَعْرَفُوا فِيهِ كُبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَلْتُهُ مِنْ يَشَآهُ وَيَهْدِئَ إِلَيْهِ مَن يَشَآهُ وَيَهْدِئَ إِلَيْهِ مَن يُشَآهُ وَيَهْدِئَ إِلَيْهِ مَن يُشَاهُ وَيَهْدِئَ إِلَيْهِ مِنْ يُشَاهُ وَيَهْدِئَ إِلَيْهِ مِنْ يَشَآهُ وَيَهُدِئَ إِلَيْهِ مِنْ يَشَآهُ وَيَهُدِئَ إِلَيْهِ مِنْ يُشَاهُ وَيَهُدِئَ إِلَيْهِ مِنْ يُشَاهُمُ وَيَهُدِئَ إِلَيْهِ مِنْ يَشَاهُ وَيَهْدِئُ إِلَيْهِ مِنْ يُشَاهُ وَيَهُدِئُ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهِ مِنْ يَشَاهُ وَيَهُ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهُمْ أَنْهُ وَالْمُؤْمِنَ الْمُعْمَلِي الْمُعْرِقِينَ مِنْ يَعْمُونُهُمْ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهُ إِلَيْهِ إِلْهُ إِلَيْهِ إِلَا عَلْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلْهُ إِلْهُ إِلَيْهِ إِلْهُ إِلْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهُ إِلَيْهِ إِلْهُ إِلَيْهِ إِلْهُ إِلْهُ إِلْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلْهُ إِلْهُ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ أَلِهُ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلَيْهِ إِلْهُ إِلَيْهِ إِلَاهُ إِلَيْهِ إِلَا أَنْهُ إِلَاهُ إِلَاهُ إِلَاهُ إِلَاهُ إِلَاهُ إِلَاهُ إِلَاهُ إِلَاهُ أَنْهُ أَلِهُ أَلِهُ أَلِهُ أَلِهُ إِلَاهُ إِلَاهُ أَنْهُ أَلِهُ إِلَاهُ إِلَاهُ إِلَاهُ أَلِيْهُ إِلَاهُ أَلِي أَلِهُ أَلِهُ أَلِهُ أَلِهُ إِلَاهُ إِلَا

عن قتادة (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا) قال: الحلال والحرام (١).

وقال مجاهد: لم يبعث الله تعالى نبيا إلا أوصاه بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة والإقرار لله بالطاعة. فذلك دينه الذي شرع لهم<sup>(٢)</sup>. فأصول الدين واحدة، لا تختلف في جميع الشرائع، وأما الفروع فمختلفة.

## الكتب المنزلة وخصائصها

تحدث القرآن الكريم عن الكتب المنزلة حديثا شافيا، وبين ما جاء فيها من الهدى والحق، وتحدث القرآن عن نزولها ومقاصدها، كما بين أوصافها وفضائلها، وتحكيمها والعمل بها، وتصديق القرآن لها وهيمنته عليها.

ومن الكتب المنزلة التي تحدث القرآن عنها: التوراة، والزبور، والإنجيل، والقرآن، وصحف إبراهيم وموسى.

## أولًا: التوراة:

التوراة: كتاب الله تعالى الذي أنزله على نبيه موسى عليه السلام (٣).

(٣) ذكر الفراء أنها: من ورى الزنديري إذا خرجت ناره وأوريته يريد أنها ضياء، وقال أبو إسحق الزجاج: قال البصريون: توراةٌ أصلها فوعلة، وفي وفوعلة كثيرٌ في الكلام مثل الحوصلة، وفي تاج العروس: وقد تعقب المحققون كلامهم بأسره وقالوا هو لفظٌ غير عربي، بل هو عبراني اتفاقًا، وإذا لم يكن عربيًا فلا يعرف له أصل من غيره، إلا أن يقال إنهم أجروه بعد التعريب مجرى الكلم العربية وتصرفوا فيه بما تصرفوا فيها، والله أعلم.

انظر: غريب الحديث، ابن قتيبة ١/ ٢٤٥، تاج العروس، الزبيدي ٤٠/ ١٩١.

يقول الأستاذ عزة دروزة رحمه الله في التفسير الحديث ٢/ ٤٧٨: «والذي يسمى التوراة و يسمى أيضا باسم العهد القديم هو مجموعة ضخمة من أسفار عديدة منفصل بعضها عن بعض بأسماء متنوعة، و عددها عند فريق من الكتابيين الطبعة البروتستانتية تسعة وثلاثون،

<sup>(</sup>۲) الكشف والبيان، الثعلبي ٨/ ٣٠٦.



<sup>(</sup>١) جامع البيان، الطبري ٢١/ ١٣.٥.

ولقد تحدث القرآن عنها حديثًا مسهبًا، مما يدل على منزلتها، حدثنا القرآن عن نزولها وكتابتها، وعن مقاصدها، وما تضمنته من أوامر وأخبار، ودعانا إلى الإيمان بها وبنزولها على موسى عليه السلام، وأنها نزلت بالخير والهدى.

تحدث القرآن عن نزولها في مواضع كثيرة.

قال تعالى: ﴿ زُلَ عَلَيْكَ الْكِلَابَ بِآلَحَقِي مُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوَرِينَةَ وَالْإِنْصِيلَ ﴿ مِن قَبْلُ هُدَى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانُ ﴾ [آل عمران: ٣].

فكما أنزل الله تعالى القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا لما بين يديه، فقد أنزل التوراة والإنجيل من

قال تعالى: ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ عِلَا لِيَا تَعَالَى: ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ عِلَا لِيَّ السَّرَءِ بِلُ عَلَى نَفْسِهِ عِن لَ عَلَى نَفْسِهِ عِن فَيْ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ أَقُلُ فَأَتُوا بِالتَّوْرِئَةِ فَأَتْلُوهَا فَلَا اللَّهُ الللّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمُلْمُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللللللللللّهُ الللللللللللللللللللللل

قبل هدى للناس، فالكتب الثلاثة خرجت

من مشكاة واحدة؛ ومن ثم فهي متفقةً في مصدرها ومقاصدها، ومن هنا ندرك

حكمة اقترانها في مواضع كثيرة من القرآن،

لأنها يصدق بعضها بعضاء ويكمل سابقها

لاحقها، وهي كلها كلام رب العالمين،

وقد جاء الحديث عن نزول التوراة في

فضلا عن توافقها وتناسبها.

مواضع أخرى.

فتحدثت الآية عن توراتين، التوراة المنزلة من عند الله تعالى، والتوراة الموجودة في أيدي اليهود والتي فيها ما فيها من تحريف وزيف، لكنها لا تزال حجة عليهم بما بقي فيها من حقائق تعضد ما جاء به القرآن، وتنقض ما هم عليه من أباطيل. ولو كانت توراة واحدة لناسب ذلك الإضمار تحاشيًا للتكرار، لكن الحديث عن توراتين.

قال تعالى: ﴿ مِن مَبْلِ أَن تُنَزَّلُ ٱلتَّورَىٰلَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَانِةِ ﴾.

ويأتي الحديث عن التوراة الحقيقية وعن نزولها ومضمونها وثمراتها الطيبة في سورة المائدة. و عند فريق آخر الطبعة الكاثوليكية ستة وأربعون...».

ويقول في كتابه القرآن والمبشرون ص ويقول في كتابه القرآن والمبشرون ص المساوسة: «كلمة التوراة عبرانية تعني التعليم أو الشريعة، وهي معربة، والمتبادر أن التعريب سابق لنزول القرآن، وأن اللفظ القرآني جاء كما كان مستعملا قبل نزول هو الكتاب المنزل من عند الله على موسى عليه السلام المحتوي للمبادئ والتعليمات والتسريعات والأحكام والحدود الربانية.في حين أن المتداول عند الكتابيين أن التوراة هي: مجموعة ضخمة من الأسفار منفصل بعض، تعرف بالعهد القديم...»

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا ٱلتَّوْرَئةَ فِيهَا هُدَى وَنُورٌ أَي عَكُمُ بِهَا ٱلنِّيثُونَ ٱلَّذِينَ أَسَلَمُوا لِلّذِينَ هَادُوا وَٱلرَّبَنِيثُونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا مِن كِنْكِ ٱللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَكَلا مِن كِنْكِ ٱللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهدَاءً فَكَلا تَخْشُواْ ٱلنَّكَاسَ وَٱخْشُونِ وَلَا تَشْتَرُوا بَعْنِيقِ ثَمَنّا قليلاً وَمَن لَمْ يَعْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللهُ فَوْلَتَهِكَ هُمُ ٱلْكَفِرُونَ ﴿ المَائِدة: ٤٤].

فالتوراة منزلة من عند الله تعالى بالهدى والنور، وهي شريعة الله تعالى التي حكم بها موسى عليه السلام ومن بعده من الأنبياء عليهم السلام، وعلى نهجهم سار الربانيون والأحبار، فأضاءوا بها دروب الحياة، ونعموا في ظلالها بحلاوة العدل وروح الإنصاف. وفي تكرار الحديث عن إنزالها: توكيدٌ وتقريرٌ بأنها نزلت من عند الله تعالى، وبيانٌ لشرفها وعظمتها، وبيانٌ لمقاصد نزولها، وهي الهداية والبيان.

أسماؤها وأوصافها وفضائلها:

تحدث القرآن عن أسمائها فهي التوراة، والفرقان، والكتاب، والألواح، والصحف. ١. التوراة.

وردت بهذا الاسم في القرآن في ستة عشر موضعا، وفي هذا ما يدل على تعظيم شأنها، فهي كلام رب العالمين.

٢. الكتاب.

أما التعبير عنها بالكتاب فقد ورد في أكثر من ثلاثين موضعا لكونها مكتوبة وكونها

جامعة، وفي كل هذه المواضع يقرر السياق أنه كتاب موسى عليه السلام.

### ۳. صحف موسى.

وردت في موضعين، في سورة النجم والأعلى، وفي هذا كله ما يدل على عظمة التوراة ورفعتها وجلال قدرها، ﴿ أَمْ لَمْ يُنْبَأُ لِمَ اللهِ مُوسَىٰ اللهِ النجم: ٣٦].

وَ إِنَّ هَنذَا لَغِي ٱلصَّحْفِ ٱلْأُولَٰى ﴿ مَعْفِ الْمُرَافِي مَعْفِ الْمُرَافِي مَعْفِ الْمُرْهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ المِ

فهي كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه موسى الكليم، واصطفاه به على سائر الناس في زمانه.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَنْمُوسَى إِنِّ آصَطَفَيْتُكَ عَلَى الْمُوسَى إِنِّ آصَطَفَيْتُكَ وَكُن عَلَى النَّاسِ بِرِسَلَتِي وَبِكُلْمِي فَخُذْ مَا مَا مَا تَدَتُكَ وَكُن مِن النَّابِ إِلاَّ عِراف: ١٤٤].

أنزلها الله تعالى ضياء وذكرى للمتقين الذين ينتفعون بهديها، ويستنيرون بضيائها.

٤. الفرقان.

لأن الله تعالى فرق بها بين الهدى والضلال، والحق والباطل.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَاتَيْنَا مُومَىٰ وَهَـُـرُونَ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ وَاللّهُ وَلَهُ وَاللّهُ وَ

الألواح.

وقد وردت في ثلاثة مواضع من سورة الأعراف.

قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي ٱلْأَلْوَاحِ

﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن ثُمُوسَى ٱلْمَضَبُ أَخَذَ الْأَلُواحُ وَلِمَّا سَكَتَ عَن ثُمُوسَى ٱلْمَضَبُ أَخَذَ الْأَلُوحُ وَلَا الْأَلُوحُ وَلَا اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الل

في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن نبينا صلى الله عليه وسلم في محاجة آدم وموسى، وفيه: (فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء، وقربك نجيًا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى: بأربعين عامًا، قال آدم فهل وجدت فيها (وعصى آدم ربه فغوى) عملًا كتبه الله علي أن أعمله قبل أن عملت عملًا كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فحج آدم موسى) (1).

(۱) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب وفاة موسى، وذكره بعد حديث ٣٢٢٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، واللفظ له،

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: (وكتبنا له في الألواح): يريد ألواح التوراة (٢٠).

#### مقاصدها:

نزلت التوراة هداية ورحمة، ونورا وحكمة، وضياء وذكرا، وتفصيلا وبيانا، وتبصرة وفرقانا، نزلت بيانًا لأركان الإيمان وثمراته، كما نزلت مفصلة للأحكام والآداب، والقصص والأمثال، والوصايا والبشارات.

نزلت هداية لبني إسرائيل، وإصلاحًا لعقيدتهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِئنَبَ وَجَعَلْنَهُ هُدَى لِنَنِي إِسْرَهِ بِلَ أَلَا تَنَّخِذُواْ مِن دُونِ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٢].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِنْبَ لَعُلَمْ مَ مَنْ ٱلْكِنْبَ لَكُمْ مَا مُنْدُونَ ﴾ [المؤمنون: ٤٩].

كما نزلت تبصرة لهم ورحمةً بهم لعلهم ينتفعون بها، ويتذكرون بأحكامها ومواعظها.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَالَيْنَا مُومَى الْكَثَنَا الْقُرُونَ الْمُكَذَّنَا الْقُرُونَ الْمُكَذِّنَا الْقُرُونَ الْمُلَكِّنَا الْقُرُونَ الْمُلَكِّنَا الْقُرُونَ الْمُلَكِّنَا الْقُرُونَ الْمُلَاقِينَ وَهُدَى وَرَحْمَةً لِمَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٤٣].

كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ٢٠٤٢/٤، رقم ٢٦٥٢.

<sup>(</sup>٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي ٢/ ٢٣٣.

فبين تعالى أن التوراة هدى ونور» وشرعة ومنهاج، وأنها بصائر للحق، وميزان له، حكم بها الأنبياء، وقضى بها الربانيون والأحبار، وامتثل لها الصالحون، فهي بصائر بما اشتملت عليه من حجج وبينات، بصائر بما حوته من حكم وأحكام، بصائر بما اشتملت عليه من مواعظ ورقائق، بما اشتملت عليه من مواعظ ورقائق، بما حوته من علوم ومعارف تضيء الطريق وترشد إلى سبل الهدى.

وقال جل وعلا: ﴿ ثُمَّ مَاتَيْنَا مُوسَى الْكِنْبَ تَمَامًا عَلَى الَّذِئَ أَحْسَنَ وَتَقْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَّمَلَّهُم بِلِقَاءَ رَبِّهِمَ لِكُلِّ شَيْءِ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَّمَلَّهُم بِلِقَاءَ رَبِّهِمَ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَمَلَّهُم بِلِقَاءَ رَبِّهِمَ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةً لَمَلَّهُم بِلِقَاءَ رَبِّهِمَ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى أَرَحْمَةً لَمَلَّهُم بِلِقَاءَ رَبِّهِمَ لِلْمُؤْنَ النَّالُ فَي إِلَا لَا اللَّهُ اللَّهُمُ الللَّهُمُ اللَّهُمُ الللْمُولُولُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ اللللْمُعُمِّ الللْمُولُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ الللَّهُمُ اللَّهُمُ اللَّهُمُ الللْمُولُولُولُ اللللْمُولُ الللْمُولُ

فمن مقاصد التوراة، نزولها تماما وتفصيلا، وهدى ورحمة، فهي منهاجٌ تامٌ، وشريعةٌ كاملةٌ، وهدايةٌ جامعةٌ، ورحمةٌ عامةٌ، آتاها الله موسى جزاء لإحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة، ومثوبة لمن أحسن من قومه؛ فهي من تمام الامتنان على أهل الإحسان، من الأنبياء والصالحين أي: أتممنا فضلنا عليهم بالكتاب.

قال الطبري بعد سرده لأقوال السلف: «وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قول من قال: معناه: ثم آتينا موسى الكتاب تمامًا لنعمنا عنده، على الذي أحسن موسى في قيامه بأمرنا ونهينا؛ لأن ذلك أظهر معانيه

في الكلام، وأن إيتاء موسى كتابه نعمةٌ من الله عليه ومنة عظيمة. فأخبر جل ثناؤه أنه أنعم بذلك عليه لما سلف له من صالح عمل وحسن طاعة (١).

ومن مقاصد نزولها كما في الآية: دعوتهم للإيمان باليوم الآخر وترسيخه في قلوبهم ﴿ لَقَلَّهُم بِلِقَاءَرَبِهِم يُوَمِئُونَ ﴾ فاتاه الله التوراة هداية ورحمة وتماما وتفصيلا ووفاء لجميع ما يحتاج إليه في شريعته، كما قال: ﴿ وَكَتَبْنَا لُهُ فِي ٱلْأَلُواحِ مِن كُلِ شَيْءِ مَوْعِظَةً وَتَقْصِيلًا لِكُلِ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِمُوَّةٍ وَأَمُر مَوْعِظَةً وَتَقْصِيلًا لِكُلِ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِمُوَّةٍ وَأَمُر فَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُو دَارَ ٱلْفَنسِقِينَ قَوْمَكَ يَأْخُدُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُو دَارَ ٱلْفَنسِقِينَ وَالْعَراف: ١٤٥].

وقوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾: «عامٌ في بابه، أي: مفصلًا لكل شيء من أحكام الشريعة كالعبادات والمعاملات» (٢)

﴿ لَعَلَهُم بِلِقَاء رَبِيهِ مَ يُؤمِنُونَ ﴾ فالتوراة جامعةٌ للأحكام الشرعية والعقدية.

وبين تعالى من مقاصد التوراة: التفرقة بين الحق والضلال، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدُ عَالَيْنَا مُوسَىٰ وَهَدَرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِياتُهُ وَذَكْرًا لِللَّهُ عَالَيْنَا مُوسَىٰ وَهَدَرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِياتُهُ وَذَكْرًا لِللَّهُ عَالَيْنَاء : ٤٨].

فالتوراة هي الفرقان، لأنها منهاجٌ للتفرقة بين الهدى والضلال، وهي ضياء وذكرى

<sup>(</sup>١) جامع البيان ١٢/ ٢٣٦.

<sup>(</sup>٢) انظر: المنار، محمد رشيد رضا ٨/ ١٨٠.

للمتقين الذين ينتفعون بهديها، ويستنيرون بضيائها.

ومن مقاصدها: إمامة الناس للهدى والخير.

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةِ مِن رَّيِهِ، وَيَتَلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِن فَبَالِهِ كِنَنْبُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ [هود: ١٧].

فالتوراة شاهد وبرهان وسائق ودليل إلى الإيمان بالقرآن، أنزله الذي أنزل التوراة على موسى إماما للمتقين ومنارة للسائرين ورحمة للمؤمنين.

قال ابن عاشور: «وعبر عن التوراة بـ (كتاب موسى) بطريق الإضافة دون الاسم العلم وهو التوراة لما تؤذن به الإضافة إلى اسم موسى من التذكير بأنه كتاب أنزل على بشر كما أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم تلميحا إلى مثار نتيجة قياس القرآن على كتاب موسى بالمشابهة في جميع الأحوال.» (١).

وتقديم (إماما) على (رحمة)؛ لأن الإمامة بمثابة الوسيلة أو الطريقة إلى الشيء، والرحمة بمثابة الغاية والثمرة، والغاية تقدم على الوسيلة، فالتوراة تقود إلى الرحمة، اقتدى بها الأنبياء والصالحون من بني إسرائيل فنالوا الرحمات.

جاءت التوراة بالمواعظ والأحكام المفصلة، فهي في عمومها هدى ورحمة وبصائر.

قال جل وعلا ﴿ وَلَقَدْ ءَانَيْنَا مُوسَى الْصَحَتَبَ مِنْ بَمْدِ مَا أَهْلَكُنَا ٱلْقُرُونِ الْحَكَنَا ٱلْقُرُونِ الْأَلِي بَصَكَآبِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّمَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿ القصص: ٤٣].

وقال سبحانه في سورة المائدة: ﴿ إِنَّا أَنْرَلْنَا ٱلتَّوْرَئَةَ فِيهَا هُدًى وَثُورٌ عَكَمُمُ مِهَا النّبِيتُونَ وَأَلْأَحْبَارُ بِمَا أَسْلَمُوا لِلّذِينَ هَادُوا وَالزَّبْنِيتُونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا أَسْتُحْفِظُوا مِن كِئْكِ اللّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهدَاءً فَلَا تَخْشُوا النّكاس وَاخْشُونِ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَائِقِ ثَمَنا النّكاس وَاخْشُونِ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَائِقِ ثَمَنا قَلِيلًا وَمَن لَمْ يَعْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَتهِكَ هُمُ اللّهُ فَأُولَتهِكَ هُمُ اللّهُ فَالْوَلْتهِكَ هُمُ اللّهُ فَالْوَلْتهِكَ هُمُ اللّهُ فَالْوَلْتهِكَ هُمُ اللّهُ فَالْوَلْتهِكَ هُمُ اللّهُ فَالْوَلْتِهِكَ هُمُ اللّهُ فَالْوَلْتَهِكَ هُمُ اللّهُ فَالْوَلْتَهِكَ هُمُ اللّهُ فَالْوَلْتِهِكَ هُمُ اللّهُ فَالْوَلْتِهِكَ هُمُ اللّهُ فَالْوَلْتِهِكَ هُمُ اللّهُ فَالْوَلْتُهُ فَاللّهُ فَالْوَلْتِهِكَ هُمُ اللّهُ فَالْوَلْتُهِكَ هُمُ اللّهُ فَالْوَلْتِهِكَ هُمُ اللّهُ فَالْوَلْتِهِكَ هُمُ اللّهُ فَالْوَلْتِهِكَ هُمُ اللّهُ فَالْوَلْتِهِكَ هُمُ اللّهُ فَالْولَةُ فَاللّهُ فَالْولَةُ اللّهُ فَالْولَةُ اللّهُ فَاللّهُ فَالَهُ اللّهُ فَاللّهُ فَالْولَةُ اللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ اللّهُ فَالِكُولُ اللّهُ فَاللّهُ اللّهُ اللّهُ فَاللّهُ اللّهُ فَاللّهُ اللّهُ فَاللّهُ اللّهُ اللّهُ فَاللّهُ اللّهُ فَاللّهُ اللّهُ فَاللّهُ اللّهُ فَاللّهُ اللّهُ فَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ فَالْلَالِيْنَ اللّهُ فَالْتُلْكُونُ اللّهُ فَالْتُلْولُ اللّهُ فَالْولَالَةُ اللّهُ فَاللّهُ اللّهُ فَاللّهُ اللّهُ فَاللّهُ اللّهُ فَاللّهُ اللّهُ فَالْمُعُلّمُ اللّهُ اللّهُ فَالْمُلْتُولُ اللّهُ فَاللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ فَاللّهُ اللّهُ فَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

فاشتملت التوراة على الهداية والبيان، والنور والرحمة، والبصائر والمواعظ. وقد بين القرآن بيانا مفصلا بعضا مما ورد في التوراة من عقائد وأحكام، وقصص وأمثال، ويشارات.

#### ١. العقيدة.

ومن ذلك بيان التوحيد.

فمن مقاصد ومعانى التوراة الأمر

مضمونها:

<sup>(</sup>١) التحرير والتنوير ٢٦/٢٦.

بالتوحيد، قال الشنقيطي رحمه الله: «فجعل التوراة هدى لبني إسرائيل مفسر بنهيهم عن اتخاذ وكيل من دون الله ؛ لأن الإخلاص كله في عبادته هو ثمرة الكتب المنزلة على الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه.»(١).

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُبْتَأْ بِمَا فِي مُسُحُفِ مُوسَىٰ ﴿ وَ وَقَا ﴿ اللّهِ مَلَا نَرِدُ مُوسَىٰ ﴿ وَ وَ اللّهِ مَا لَالْا مَا وَارْزَةٌ وِزْدَ أَخْرَىٰ ﴿ وَأَن لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلّا مَا سَعَىٰ ﴿ وَأَنَ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلّا مَا سَعَىٰ ﴿ وَ وَأَنَّ الْمُنَامِنُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَاللّهُ وَالّهُ وَاللّهُ وَا لَلّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَالل

فقد اشتملت صحف موسى وهي التوراة على أصول الإيمان: الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر، فضلًا عن الإيمان بالرسل والكتب والملائكة والقدر.

ومن ذلك وعده تعالى لعباده المؤمنين بالجنة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اَشْتَرَىٰ مِنَ اللَّهُ اَشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَلَهُم بِأَنَ لَهُمُ اللَّهِ فَيَقَنْلُونَ اللَّهِ فَيَقَنْلُونَ وَيُقَنَّلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقَنْلُونَ وَيُقَنَّلُونَ وَيُقَنَّلُونَ فَي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقَنْلُونَ وَيُقَنَّلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقَنْلُونَ وَيُقَنَّلُونَ فَي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقَنْلُونَ وَمُثَ الْوَلَى اللَّوْرَكِيةِ وَلَقَنْ اللَّهُ اللَّهُ وَمُنَ أَوْفَ بِعَهْدِهِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْدَانَ وَمَنَ أَوْفَ بِعَهْدِهِ وَالْمُؤْمَانَ وَمَنَ أَوْفَ بِعَهْدِهِ وَالْمُؤْمِنَ الْمُؤْمِدِهُ وَمُنْ أَوْفَ بِعَهْدِهِ وَالْمُؤْمِدَةُ وَمُنْ الْوَقَ فِي اللَّهُ وَمُنْ الْوَقَ فَي اللَّهُ وَمُنْ الْمُؤْمِدِهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَمُنْ الْوَقَ فِي اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ

(١) أضواء البيان، الشنقيطي ٣/ ١١

مِنَ ٱللَّهُ فَآسَتَبْشِرُوا بِيَيْمِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُمُ بِهِمْ وَذَلِكَ هُوَ ٱلْغَوْزُ ٱلْمَظِيمُ ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُو

## ٢. الأحكام.

إذ جميع الكتب المنزلة متفقة في أصول التشريع كالصلاة والصيام والزكاة، وإن اختلفت في فروعها وجاءت شريعة القرآن مسك الختام وغاية التمام.

تأمل قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفَلَحَ مَن تَزَكَّى ﴿ وَذَلَكَ اللَّهُ اللَّالَّا الللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

ففيها بيان اشتمال صحف إبراهيم وكذلك صحف موسى أي: التوراة على الترغيب في الزكاة والصلاة والتحذير من الافتتان بالدنيا وإيثارها على الآخرة.

ومن ذلك قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِيَ إِسْرَتِهِ بِلَ أَنَّهُ مَن قَتَكَلَ نَفْسنًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ مَن قَتَكَلَ نَفْسنًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَ أَنَّما قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَ فَكَاهَا فَكَانَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ فَكَ أَنْهَا أَنْهَا إِلَيْهَنْتِ ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا مِنْهُم جَمَاةً تَهُم ذُرُلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِقُونَ اللَّه اللّه اللَّه اللّه اللَّه اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ

﴿ وَكَنَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْمَنْفِ وَٱلْمَنْفِ بِٱلْمَنْفِ وَٱلْمَنْفِ بَالْأَنْفِ

وَٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَ بِالسِّنِ وَٱلْسِنِ وَٱلْجُرُوحَ وَالْسِنِ وَٱلْجُرُوحَ فَصَالَّ فَمَن نَصَكَّ فَكَ بِدِ فَهُو كَفَّارَةً لَا أَذُ وَمَن لَّمْ يَعَتَّمُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَتَهِكَ هُمُ الفَّلِيمُونَ اللَّهُ وَأَلْتَهِكَ هُمُ الفَلْلِمُونَ اللَّهُ وَاللَّهِ فَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَهُ وَاللَّهُ وَاللَّ

فكشف الله تعالى لنا عن شيء مما تضمنته التوراة، في جانب الأحكام الشرعية العادلة التي نزلت لحماية الإنسان وحفظ دينه، وروحه، وعقله، وبدنه، وماله، وعرضه.

مما تضمنته التوراة كما بين القرآن

٣. البشارات.

البشارة بخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم.
قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَنَّيعُونَ الرَّسُولَ النِّينَ اللهُ عَلَيْهُ وَالنَّيْمَ اللهُ عَلَيْهُ وَالنَّيْمَ اللَّهُ عَلَيْهُ وَالنَّهُ مَكُنُوبًا عِندَهُمْ فَي النَّوْرَونِ فِي النَّوْرَونِ وَالْإِنِيلِ يَأْمُرُهُم مِالْمَعْرُونِ وَيُكُولُ لَهُمُ الطّيبنتِ وَيُحِيلُ لَهُمُ الطّيبنتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْمُنْكَرِ وَيُحِيلُ لَهُمُ الطّيبنتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْمُنْكِرِينَ وَيُحِيلُ لَهُمُ الطّيبنتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْمُنْلِينَ اللَّهِ كَانَتَ عَلَيْهِمُ فَالنَّذِينَ النَّورَ اللهُ اللَّهِ كَانَتَ عَلَيْهِمُ فَالنَّذِينَ النَّورَ اللهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللللّهُ اللللللّهُ اللّهُ الللللّهُ الللللّهُ الللّهُ

فلقد جاءت أوصاف نبينا صلى الله عليه وسلم مكتوبة في التوراة والإنجيل وعلى إثرها وفي ضوئها آمن من آمن من علماء أهل الكتاب، وكان اليهود والنصارى يترقبون مجيء هذا النبي الأمي الذي يبعث

بالرحمة ويرفع الله به الحرج ويضع عنهم الأصار التي أرهقتهم، ويحط الأغلال التي أثقلتهم، وكانوا يتواصون ويتعاهدون على نصرته ومؤازرته، فلما بعث آمن منهم من تجرد للحق وأخلص له، وأعرض من خاب وخسر.

## ٤. ضرب الأمثال.

جاءت الكتب الثلاثة بالأمثال التي تقرب المعاني إلى الأذهان وترسخها في النفوس، وتصورها في صور حية، قال تعالى: ﴿ عُمَّنَدُ رَحَمَاءُ رَسُولُ اللّهِ وَالّذِينَ مَعَدُهُ أَشِدًاءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَمَاءُ يَبْنَهُمُ مُ تَرَبُهُمُ رُكُعًا سُجَدًا يَبْتَغُونَ فَضَلا مِنَ اللّهِ وَرِضُونًا سِيمَاهُمْ في التَّورَدُةِ وَمَثَلُعُرُ في الْإِنجِيلِ كَرْرَجِ وَرَضُونًا فَاسْتَوَى عَلَى الشَّجُودُ فَاسْتَعَلَىٰ فَاسْتَوَى عَلَى الْمُعَلِّمُ فِي التَّورَدُةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَرْرَجِ مَنْ أَلْرِ السَّجُودُ وَمَدَاللهُ الشَّووَى عَلَى اللهِ اللهُ ا

فلم يقتصر الحديث في التوراة والإنجيل عن أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم، بل ورد الحديث كذلك عن أوصاف أصحابه ومناقبهم، كما أشارت الآية الكريمة، أن الله تعالى ضرب لنبيه صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم أروع الأمثلة في التوراة والإنجيل، حيث بدأت دعوة الإسلام غريبة، ولم تلبث أن قوي عودها وأنتشر عبيرها وأورقت شجرتها وأينعت

ثمارها بجهود الصحابة ومساعيهم.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهُ الشَّرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اَنفُسَهُمْ وَأَمُوَفَهُم الشَّرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اَنفُسَهُمْ وَأَمُوفَهُم بِأَن لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْلِنلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقَالُونَ وَيُقَالُونَ وَيُقَالُونَ وَمُقَالُونَ وَمُقَالَا عَلَيْهِ حَقًا فِ اللَّوْرَدِيةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَالقَارَ اللَّهِ حَقًا فِ اللَّوْرَدِيةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَالقَارَ اللَّهِ وَمَن أَوْلَى بِمَهَدِهِ مِن اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ اللَّذِي بِمَهَدِهِ مِن اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ اللَّذِي بَاللَّهِ مَن الفَوْرُ الْعَظِيمُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللَ

وعد الله تعالى في كتبه الثلاث المجاهدين الصادقين الذين نالوا شرف الجهاد والاستشهاد بأن لهم الجنة.

## ثانيًا: الزبور:

أنزل الله الزبور على نبيه داود عليه السلام فكان من أعظم النعم وأجلها؛ إذ اشتمل على معاني سامية وأحكام راشدة ومواعظ وبشارات، وقد تحدث القرآن عنه في عدة مواضع بما عرفه لنا، وكشف لنا عن شيء مما ورد فيه.

وأصل كلمة الزبور: في اللغة العربية: من (زبر)، والزبر: الكتابة في الحجر، وقيل: الزبر أي: الزجر، لأن الزبور والزبر: الكتب التي اشتملت على زواجر، أي: مواعظ تزجر عن الباطل، وقيل: هو من الفخامة والعظمة، ومنه زبر الحديد، أي: قطعه الكبيرة، وقيل:

من الإتقان؛ لأنه كتابٌ محكمٌ (١١).

وقد وردت بعض مشتقات هذه المادة في القرآن الكريم: فجاءت بمعنى: القطعة من الشيء. قال تعالى: ﴿ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللّهُ ال

وزبر الحديد أي: قطعه الكبيرة. وجاءت بمعنى: التقطع والتفرق.

قال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿ فَتَعَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ذُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرَدُو كُلُّ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرَحُونَ ﴿ فَي وَأَحزابٍ فَرِق وَأَحزابٍ شَتى. وجاءت بمعنى: الكتب والمواعظ والزواجر التي نزلت على الأنبياء (٢).

قَالَ تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِيكَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتُهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَتِ وَوَالزُّبُرُ وَوَالْكِتَنِ الْمُنِيرِ ۞﴾.

فالبينات هي: الحجج والمعجزات، والزبر هي: المواعظ والزواجر، والكتاب المنير: اسم جنس «يشمل جميع الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه لهداية الناس وإرشادهم (٣).

<sup>(</sup>۱) انظر: المحيط في اللغة، ابن عباد الطالقاني ۹/ ٤٥، المصباح المنير، الفيومي ١ / ١٣١، القاموس المحيط، الفيروز آبادي ١/ ٥٠٩.

<sup>(</sup>٢) قال الطبري في تفسيره ١٤/ ٢٣١: «والزبر: هي الكتب، وهي جمع زبور، من زبرت الكتاب إذا كتبته، عن مجاهد: الزبر: الكتب».

<sup>(</sup>٣) قال الخازن: «وسمى الكتاب الذي فيه

وقال تعالى: ﴿ وَالِقَدُ لَنَازِيلُ رَبِ الْمَالَمِينَ الْمَالَمِينَ الْمَالَمِينَ الْمَالَمِينَ الْمَالَمِينَ الْمَالَمِينَ اللّهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ اللهِ الرَّوحُ الْأَمِينُ اللهِ الرَّوحُ الْمَالَمِينَ اللهِ اللّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ ال

والزبر: الكتب لأنها زبرت أي: رقمت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقِي زُبُرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أي: في كتب المتقدمين من الأنبياء، لأنها بشرت به، أو لأنه تضمن ما ورد فيها، وجاء مصدقًا بها.

قال الطبري: «يعني في الكتب التي كتبتها الحفظة عليهم وقد يحتمل أن يكون مرادًا به

الحكمة زبورا، لأنه يزبر عن الباطل، ويدعو إلى الحق، والكتاب المنير: أي الواضح المضيء، وإنما عطف الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله». لباب التأويل، الخازن .٣٢٨/١

وقال أبو حيان: «قيل: والكتاب هو الزبر، وجمع بين اللفظين على سبيل التأكيد، أو لاختلاف معنيهما، مع أن المراد واحد، ولكن اختلف معنياهما من حيث الصفة، وقيل: الكتاب هنا جنسٌ للتوراة والإنجيل وغيرهما، ويحتمل أن يراد بقوله: والزبر: الزواجر من غير أن يراد به الكتب، أي: جاؤوا بالمعجزات الواضحة والتخويفات والكتب النيرة». البحر المحيط، أبو حيان ٣/ ٢٥٩.

في أم الكتاب» (١).

وفي عدة مواضع تحدث القرآن عن الزبور: الكتاب الذي أنزله الله تعالى على داود عليه السلام.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كُمّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كُمّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كُمّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كُمّا أَوْحَيْنَا إِلَى فَيْحَ وَالنّبِيّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كُمّا إِلَى إِلَيْكَ وَإِلَى الْحَيْدَ وَيُونُسَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْجَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَمْرُونَ وَالْأَسْجَالِ وَعَالَيْنَا دَاوُرَدَ زَبُورًا ﴿ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ ال

أوحى الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم كما أوحى لمن قبله من الأنبياء، والزبور وحيٌ من الله تعالى ومنةٌ على نبيه داود عليه السلام، والذي يؤمن بالزبور يلزمه الإيمان بالقرآن لأن مصدرهما واحدٌ، فحريٌ بأهل الكتاب الذين يؤمنون بالزبور أن يؤمنوا بالقرآن ختام الكتب وآخر الرسالات، والذي جاء مصدقا بما قبله.

وقال سبحانه: ﴿ وَرَبُّكَ أَعَكُرُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَأَلْكُ أَعَكُرُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَأَلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۞﴾ [الإسراء: ٥٥].

فقد فضل الله داود عليه السلام بهذا الكتاب العظيم، وفي تكرار هذه العبارة في سورتين تقريرٌ لها، وتذكيرٌ بها، وبيانٌ لفضل داود عليه السلام، ودليلٌ على التفاضل بين الأنبياء، وبرهانٌ على وحى الله لأنبيائه،

<sup>(</sup>۱) جامع البيان ۲۲/ ١٦٤.

والزبور الموجود بين يدي أهل الكتاب المسمى عندهم بمزمور داود يشهد للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، وهذا ردٌ على أهل الكتاب الذين ينكرون نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، ببيان أن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، كما تفضل الله على النبيين من قبل عامةً وعلى نبيه داود عليه السلام خاصةً.

## مقاصد الزبور:

أنزل الله الزبور على داود عليه السلام كما أنزل سائر الكتب على الأنبياء هداية وتذكرة وبيانا وبشارةً، وحجةً على الخلق.

ويفهم من سياق هذه الآية أيضًا أن نزول الزبور نعمة وفضيلة لنبي الله داود عليه السلام.

والبشارة في الزبور كما أخبر القرآن. قال جل وعلا: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبُنَافِ الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي السَّنالِحُونَ ﴿ إِنَّ فِ هَلْذَا لَبَلَاعًا لِقَوْمِ السَّنالِحُونَ ﴿ إِنَّ فِي هَلْذَا لَبَلَاعًا لِقَوْمِ عَلَيدِينَ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَلَمِينَ ﴿ إِلاَنبِياء: ١٠٥ -١٠٧].

وهنا يكشف لنا المولى جل وعلا قبسا مما جاء في الزبور، حيث اشتمل على هذه البشارة العظيمة بالتمكين لعباد الله الصالحين، الذين يرثون الأرض وينشرون الرحمة في أرجائها.

والذكر: هو اللوح المحفوظ، وفيه أقدار الله وسننه، أو التوراة وفيها بشاراتٌ عديدةٌ لأمة الإسلام، وفي التنويه على وجود هذه البشارة في اللوح أو في التوراة تقريرٌ لها وتفخيمٌ لشأنها، والمتأمل في ما يدعى عند أهل الكتاب بمزامير داود يدرك هذه المعجزة القرآنية! وقد جاء في المزمور السابع والثلاثين من المزامير المنسوبة لداود عليه السلام ما نصه: «والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض، ١٠ بعد قليل لا يكون الشرير، تطلع في مكانه فلا يكون، ١١ أما الودعاء فيرثون الأرض، ويتلذذون في كثرة السلامة.

وتعقيب هذه البشارة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي هَدُهُ البَّسُارة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي هَدُهُ البَّلَاخُ الْمَقَّ بليغَةٌ كِي نقف خاشعين أمام إعجازِ قرآني وبلاغِ ربانيٍ.

# ثالثًا: الإنجيل:

تحدث القرآن عن الإنجيل بما كشف لنا عن نزوله ومقاصده وفضائله، وما ورد فيه من أحكام وبشارات، فالإنجيل كلام الله تعالى الذي نزله على نبيه عيسى عليه السلام هداية وتذكرة لبني إسرائيل وامتدادا للتوراة وتصديقا بها ونسخا لبعض ما ورد فيها.

وأما تعريفه: فالإنجيل: علمٌ على الكتاب الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام (١١).

أوصافه ونزوله وفضائله ومقاصده:

وصفه الله تعالى بأنه هدى ونورٌ، هدى للناس، ونورٌ يضيء لهم الدروب، وبين تعالى أنه مصدقٌ لما بين يديه من التوراة، فنزوله دليلٌ على صدقها، وامتدادٌ لها، ونسخٌ لبعض ما ورد فيها من أحكام، كذا كل نبي وكل كتابٍ يصدق بما قبله.

قَالَّ تعالَى: ﴿ أَللَّهُ لَآ إِللَهُ إِلَّا هُوَ الْمَقُ الْمَقُ الْمَقَوْمُ الْكَالِهُ وَالْمَقُ الْمَقَوْمُ الْكَالْمَةُ فَالْمَا لِمَا يَانَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ

(۱) جاء في كتب المعاجم: الإنجيل لفظة مشتقة من نجلت الشيء إذا أخرجته، ومنه قيل لنسل الرجل: نجله كأنه هو استخرجه.وقيل للماء الذي يظهر من النز: نجل. يقال: قد استنجل الوادي، وإنجيل: إفعيل من ذلك كأن الحق كان قد دثر ودرس كثيرٌ من معالمه وكثر تحريف أهل الكتاب وخفي على الناس ما أحدثوه فأظهر الله جل وعز ذلك.مقاييس اللغة ٥/٣٩٦، مختار الصحاح ص ٣٠٠٥. والذي أراه أنها معربة لا اشتقاق لها.

وفي المعجم الوسيط ١/ ٢٩: الإنجيل: كتاب الله المنزل على عيسى عليه السلام، وهي كلمة يونانية معناها البشارة.

والموجود لدى النصارى الآن الأناجيل الأربعة وعدد من الرسائل والرؤى يطلق على مجموعها العهد الجديد، كما في نسخة الإنجيل.

انظر: كتاب الحياة.

ٱلتَّوَرِينَةَ وَٱلْإِنْجِيلَ اللَّ مِن مَّبُلُ هُدَى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ التَّوَرِينَةَ وَٱلْإِنْجِيلَ اللهِ مِن مَبْلُ هُدَى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ المَّوْقَانَ ﴾ [آل عمران: ١ -٤].

فالتوراة والإنجيل كلاهما نزل من عند الله هدايةً للناس، وكذلك الفرقان.

وبينما صرح القرآن وأكد نزول الإنجيل من عند الله تعالى؛ لم أعثر في الأناجيل الأربعة على عبارة واحدة تصرح بنزولها من عند الله! فمن فضائل عيسى عليه السلام ومناقبه الجليلة أن أنزل الله عليه الإنجيل هدى وموعظة وحياة للقلوب.

قال تعالى: ﴿ وَقَفَيْنَا عَلَىٰ ءَاثَنِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَكَيْهِ مِنَ التَّوْرَنَةُ وَءَانَيْنَكُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدَى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَكَيْهِ مِنَ التَّوْرَئِةِ وَهُدَى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:

وهذه الآية تصرح بأن الإنجيل وحي من الله تعالى أكرم به عيسى عليه السلام، وكذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَفَيْنَا عَلَى وَالْنَدِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَيْنَا بِعِيسَى أَبْنِ مَرْبِهَمَ وَوَانَيْنَكُ أُلِيْجِيلَ وَوَانَيْنَكُ أُلِيْجِيلَ ﴾ [الحديد: ٢٧].

فالإنجيل من أشرف الكتب التي أنزلها الله تعالى بدليل حديث القرآن عنه في مواضع كثيرة، واقتران ذكره بأوصاف جليلة ومقاصد عظيمة، فهو هداية ونورٌ، وموعظة وذكرى، وقد ورد ذكره في اثني عشر موضعا من كتاب الله تعالى، وفي هذا أعظم دليل على مزيته، سيما إذا قارنا ذلك بعدد ورود

الإنجيل في الأناجيل الأربعة، حيث لم ترد كلمة الإنجيل إلا في سبعة مواضع: مرة في إنجيل متى، والباقي في إنجيل مرقص، بينما لم ترد في إنجيل يوحنا، ولا لوقا، ومع ذلك لم يقترن ذكره بالحديث عن مصدره أو فضائله أو مقاصد نزوله، أو الدعوة إلى تحكيمه، أو انتظامه في سلك ما سبقه من كتب.

والإنجيل نعمة عظيمة أنعم الله تعالى به على عيسى عليه السلام ومن آمن به قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَعِيسَى اَبَنَ مَرْيَمَ اَذْكُر نِمْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالدَيْكَ إِذْ أَلَّكُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ أَيْدَتُكَ بِرُوجِ الْقُدُسِ تُكَلِّدُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَمَةً لَا النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَمَةً لَالْتَاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَمَةً لَا الله الله وَالْمَهْدِ وَالْمَانِدة وَالْمِهْدِ وَالْمَانِدة وَالْمِهْدِ الله الله الله الله الله والمائدة والله عليه والمائدة والله عليه والمائدة والله عليه الله والمائدة والله عليه والمائدة والله عليه والمائدة والله عليه والله والله والله والمائدة والله عليه والله والله

فالإنجيل نعمة ومنحة جليلة من الله تعالى، وقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ مَقَيَّنَا عَلَىٰ الله وَالْكُوبِ مِرْسُلِنَا وَقَفَيَّنَا بِعِيسَى آبْنِ مَرْبِكُمُ وَالْكَلَيْدُ لَا إِلَيْ مَرْبِكُمُ وَالْكَلَيْدُ لَا إِلَيْهِ مِلْكُ [الحديد: ٢٧].

وفي ذكر الإنجيل خاصةً في هذا السياق؛ تنوية بشرفه وتذكير بعظمته، وبيان كونه حلقةً في سلسلة الكتب التي أنزلها الله على رسله لهداية الإنسانية. نزل الإنجيل هداية للحائرين ونورًا للسائرين.

قال تعالى: ﴿ وَمَاتَيْنَاهُ ٱلْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدَى وَنُورُ وَمُصَدِّفًا لِمَا يَيْنَ يَدَيَّهِ مِنَ ٱلتَّوْرُناةِ وَهُدَى وَمُورُى وَمُصَدِّفًا لِمَا يَيْنَ يَدَيَّهِ مِنَ ٱلتَّوْرُناةِ وَهُدَى وَمُورَعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿ اللَّهِ ﴾ [المائدة: ٤٦].

فالإنجيل هدى ونورٌ، ومصدقٌ لما بين يديه من التوراة، وموعظةٌ للمتقين، وتكرار وصفه بالهدى، لتقرير هذا المعنى، ولبيان كونه هدايةً عامةً لبني إسرائيل، هداية بيانٍ وإرشادٍ، فوق أنه هدايةٌ خاصةٌ لمن انتفع به من المتقين، كذلك قال أولا: ﴿ وَمَاتَّيْنَكُ ٱلْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدَّى وَنُورٌ ﴾ أي: اشتمل على الهداية والنور، ثم وصفه ثانيةً، بأنه كله هدى ﴿ وَهُدَى وَمُوعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ لأنهم وحدهم هم الذين ينتفعون بهديه ويعتبرون بمواعظه. قال الرازي: معنى: «أن الإنجيل هدّى أنه اشتمل على الدلائل الدالة على التوحيد والتنزيه، وبراءة الله تعالى عن الصاحبة والولد والمثل والضد، وعلى النبوة وعلى المعاد، فهذا هو المراد بكونه هدّى، وأما كونه نورًا: فالمراد به كونه بيانًا للأحكام الشرعية ولتفاصيل التكاليف، وأما كونه مصدقًا لما بين يديه: فيمكن حمله على كونه مبشرًا بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم، وبمقدمه، وأما كونه هدّى مرةً أخرى: فلأن اشتماله على البشارة بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم سببٌ لاهتداء الناس إلى نبو ته»<sup>(۱)</sup>.

وقال ابن كثير: «أي: هدّى إلى الحق ونورٌ يستضاء به في إزالة الشبهات، وحل

<sup>(</sup>۱) مفاتيح الغيب، الرازي ٢١/ ٣٦٩.

المشكلات» (۱).

.[ ٤٧

اشتماله على جملةٍ من الأحكام: قال تعالى: ﴿وَمَاتَيْنَكُ ٱلْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدَى وَثُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَئةِ وَهُدَى وَمُوْعِظَةً لِلمُتَّقِينَ (أَنَّ وَلَيْضَكُو أَهْلُ ٱلْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ فِيهً وَمَن لَمْ يَعْكُمُ مِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَتَهِكَ هُمُ ٱلْفَسِقُونَ (الله) [المائدة: ٢٥-

فقد أنزل الله الإنجيل مشتملا على جملة من الأحكام أوجبها على أهل الإنجيل.

تصديقه للتوراة ونسخه لبعض ما جاء فيها:

قال تعالى في قصة عيسى عليه السلام مع قومه: ﴿وَمُمَكِيّةًا لِمَا بَيْنَ يَدَى مِنَ مِنَ اللّهِ مِنْ يَدَى مِنَ مُنَ اللّهِ حُرِّمَ اللّهَ وَلِأَحِلّ لَكُم بَعْضَ اللّهِ حُرِّمَ عَلَيْكُم فَاللّهَ عَلَيْكُم فَاتَعُوا اللّهَ وَالْمِيعُونِ ﴿ وَاللّهِ عَلَيْكُم فَاتَعُوا اللّهَ وَالْمِيعُونِ ﴿ وَاللّهُ عَمِوانَ: ٥٠].

فأمر أتباع عيسى بالعمل بالتوراة باستثناء ما نسخ منها، تخفيفا وتيسيرا عليهم، فكم حرم الله على اليهود من طيباتٍ بظلمهم وعنادهم وتعنتهم وقسوة قلوبهم.

قال تعالى: ﴿ فَيُظُلِّهِ مِنَ ٱلَّذِيكَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْمِ مَ طَيِّبَهِمْ طَيِّبَاتٍ أُجِلَّتُ لَكُمُّ وَيصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَيْمِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ عَنْهُمْ عَذَابًا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَنْهُمْ عَذَابًا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَنْهُمْ عَذَابًا

وقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَاكُلَّ ذِى ظُلْقُرُّ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْفَنَهِ حَرَّمْنَاكُلَّ ذِى ظُلْقُرُّ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْفَنَهِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُلْهُورُهُمَا آوِ ٱلْحَوَاكِ ٱلْوَمَالْخَتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ خُرَيْنَهُم بِبَغْيِهِمٌ وَإِنَّا لَصَلِقُونَ اللَّهُ وَالْفَامِ: ﴿ وَاللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّالَّ اللَّا

قال ابن كثير: «والمشهور من قول العلماء أن الإنجيل نسخ بعض أحكام التوراة (٢).

بشارته بخاتم الرسل وآخر الكتب: كما جاء الإنجيل مصدقا بالتوراة

التي سبقته فقد جاء مبشرا بخاتم النبيين والمرسلين الذي سيأتي بعده.

قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النِّينَ اللّهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللّهُ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الل

فبينت الآية كيف جاءت التوراة وكذا الإنجيل بالبشارات الصريحة الجلية الدالة على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ووجوب اتباعه. فلقد بشرت التوراة والإنجيل بهذا

ألِيمًا ١٦٠ - ١٦١].

<sup>(</sup>٢) المصدر السابق.

<sup>(</sup>١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/٢٤٣.

النبي الأمي، وبينت أوصافه وأحواله ومناقبه صلى الله عليه وسلم، وأنه جاء لهم بالرحمة والتيسير، والخير والصلاح، ودعت إلى الإيمان به واتباعه، ومؤازرته ومناصرته، فذلك هو سبيل الفلاح.

# رابعًا: القرآن:

حوى القرآن الكريم لب الكتب المنزلة، وأوعى معانيها، ونزل موائمًا لها، متممًا لمقاصدها، وانفرد بأحكام ومعاني زيادةً على ما ورد فيها مع كونه من جنسها؛ لأنه رسالةٌ ودعوةٌ عالميةٌ باقيةٌ إلى يوم الدين، ومن ثم فمن وجوه هيمنته: استيعابه لما سبقه من الكتب بما يغني عنها، في حين أنها لا تغني عنه. وجاء القرآن الكريم ناسخا لما سبقه من كتب انتهى العمل بما تبقى فيها من أحكام بنزول القرآن الذي ليس بعده كتاب، وقد اتفق القرآن مع الكتب التي نزلت قبله في الأصول.

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَبَ بِٱلْحَقِ مُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

ووقع الاختلاف في بعض الفروع، مراعاةً لاختلاف الزمان والمكان، ومراعاةً لعالمية دعوة القرآن وشمولها وقيامها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلُ ٱلْفُرْقَانَ عَلَى

عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَدِيرًا اللهِ [الفرقان: ١].

وبنزول القرآن انتهى العمل بما سبقه من كتب لأنها باتت منسوخة، قال تعالى بعد أن تحدث عن شريعة التوراة والإنجيل: ﴿ وَأَتَرَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ مُ لَكِنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ مُكَنِيدًا عَلَيْهِ فَأَحَكُم يَدَيْهُ مِنَ ٱلْكِتَبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَأَحَكُم يَدَيْهُ مِنَ ٱلْكِتَبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَأَحَكُم يَدَيْهُ مِنَ ٱلْكِتَبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَأَحَكُم يَنَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٨].

وتكفل الله بحفظه وهيأ الأسباب ويسر السبل المعينة على ذلك؛ فهو رسالة الله الخالدة، ونوره الذي لا ينطفئ، قال ابن الجزري رحمه الله: ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة، وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه لا في الكتب ولا يقرءونه كله إلا نظرًا لا عن ظهر قلب، ولما خص الله تعالى بحفظه من شاء من أهله أقام له أئمة ثقات تجردوا لتصحيحه وبذلوا أنفسهم في إتقانه وتلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم حرفًا حرفًا، لم يهملوا منه حركةً ولا سكونًا ولا إثباتًا ولا

حذفًا، ولا دخل عليهم في شيءٍ منه شكٌ ولا وهمٌ (١٠).

فحفظ الله تعالى كتابه من التحريف والتبديل فسلم من التناقض والاضطراب الذي اعترى التوراة والإنجيل بسبب تحريفهما. قال تعالى: ﴿ نَكَ ٱلْكِتَبُ لَارَبُ أَلِكَ ٱلْكِتَبُ لَارَبُ أَلِكَ ٱلْكِتَبُ لَارَبُ أَلِكَ ٱلْكِتَبُ لَارَبُ أَلِكَ الْكِتَبُ لَارَبُ أَلِكَ الْمُعْرَادِ اللهِ الله

وقال ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرَءَانَّ وَلَوْكَانَ مِنَ عِندِ غَيْرِاللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْدِلْدَهَا كَثِيرًا ﴿ اللَّهُ ﴾ [النساء: ٨٦].

فالقرآن الكريم لا يتطرق إليه شك ولا يقع فيه اختلاف ولا يتسرب إليه باطل، ولا يضرب بعضه بعضا، ولا يتفاوت في بلاغته، فهو كتابٌ محكمٌ ومحفوظٌ بحفظ الله تعالى له.

ولقد جاء الأسلوب القرآني متميزًا عن الكتب السابقة؛ إذ مع كونه خرج كما خرجت من مشكاة واحدة، ونزل به الناموس الذي نزل على موسى عليه السلام وكذا على عيسى عليه السلام إلا أنه ينفرد عن تلك الكتب بمزايا تتناسب مع مقاصده؛ فهو الرسالة الخاتمة، والشرعة التامة، والمنهاج

الكامل.

فالقرآن آية بينة وحجة ساطعة ومعجزة خالدة، تحدى الله به الناس كافة، وهو معجز في ألفاظه ومعانيه، وأساليبه وتراكيبه، معجز في كل ما جاء فيه من حقائق بينات، معجز في أوصافه وأخباره، معجز في بشاراته ونبؤاته، معجز في قصصه وأمثاله، معجز في روعته وجلاله، معجز في تأثيره العجيب ونظمه الفريد، معجز في تشريعاته الحكيمة، معجز في واقعيته ومثاليته، معجز في أصالته وثباته، مع مواكبته لكل جيل في أصالته وثباته، مع مواكبته لكل جيل وقبيل، وتناسبه لكل عصر ومصر، معجز في شتى جوانبه، فهو المعجزة الكبرى والآية المتجددة، والرسالة الخالدة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ما من الأنبياء نبي ً إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة) (٢٠).

تحدى الله به الإنس والجن، أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله، فما استطاعوا لذلك سبيلا:

<sup>(</sup>١) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ١/ ٦.

<sup>(</sup>۲) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل، رقم ٤٦٩٦، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، ١٥٢، رقم ١٥٢،

وقال جل وعلا: ﴿ قُل لَيْنِ ٱجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَلْذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضِ ظَهِيرًا الْإِسراء: ٨٨].

وقال سبحانه: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ نَقَوَلَهُۥ بَلَ لَا يُوْمِنُونَ ﴿ فَلَيَأْتُوا بِصَدِيثٍ مِثْلِهِ إِن كَانُوا مَدِيقِينَ ﴿ الطور:٣٣-٣٤].

فتحدى الله به الإنس والجان، على أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله، أو بحديث مثله فما استطاعوا لذلك سبيلا، مع أن منهم من حاول ذلك فخاب سعيه، وأدرك عجزه عن مجابهة هذا التحدي، وما أكثر ما في القرآن من تحديات.

## خامسًا: صحف إبراهيم وموسى:

ورد الحديث عن الصحف التي أنزلها الله تعالى على إبراهيم وموسى عليهما السلام في سورة النجم.

قال تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَأَ إِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿ وَإِبْرَهِيمَ الَّذِى وَفَى ﴿ اللهِ الْإِنْرُ وَازِرَهُ وَذَرَ الْخَرَىٰ ﴿ وَأَن لَيْسَ الْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿ اللهِ

وفي سورة الأعلى: قال سبحانه ﴿قَدَّأَقَلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿ ثَنَّ وَذَكَرَ اَسْدَ رَبِّهِ فَصَلَىٰ ﴿ ثَابَلَىٰ تُقْفِرُونَ الْحَيَوْةَ الدُّنْيَا ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿ إِنَّ إِنَّ هَنذَا لَغِي الشَّحُفِ اللَّولَىٰ ﴿ مُعَنِّ إِبْرَهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿ ثَنَا ﴾ [الأعلى: ١٤ - ١٩].

كذلك جاءت إشارةٌ إلى الصحف الأولى بعمومها في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَى بعمومها في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِعَايَةِ مِّن زَيِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصَّحُفِ ٱلْأُولَىٰ شَنْكُ ۚ [طه: ١٣٣].

عن مجاهد: قوله: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِنَةُ مَافِى الشَّحُفِ ٱلْأُولَى ﴾، قال: التوراة والإنجيل (١٠). وعن قتادة، قوله: ﴿ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَى ﴾ الكتب التي خلت من الأمم (٢٠). وخص صحف إبراهيم لأنه أبو الأنبياء

<sup>(</sup>١) انظر: تفسير مجاهد ص ٤٦٨.

<sup>(</sup>٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٨/ ٤٠٦.

عليهم السلام، والعرب في الجاهلية كانوا يقرون بفضله ومكانته، وكذلك أهل الكتاب يقرون بنبوته وإمامته وأبوته للمؤمنين، فالكل يدعى اتباع أثره. كذلك لتقدمها وقدمها؛ وللمقدم أهميته وللعتيق مزيته، وخص صحف موسى لأنه من أولى العزم من الرسل، ولأن المشركين يعرفونه، وأهل الكتاب يدعون اتباعه والعمل بما جاء به، وصحف موسى هي: التوراة، وهي من الصحف الأولى باعتبار تقدمها على ما بعدها من الكتب، فقد نزل بعدها الزبور والإنجيل والقرآن.

وقال الثعلبي: بينة ما في الصحف الكتب الأولى: أي بيان ما فيها يعنى القرآن أقوى دلالة وأوضح آية. وقال بعض أهل المعانى: يعنى ألم يأتهم بيان ما في الكتب الأولى التوراة والإنجيل وغيرهما من أنباء الأمم التي أهلكناهم لما سألوا الآيات، فأتتهم فكفروا بها، كيف عجلنا لهم العذاب والهلاك بكفرهم بها<sup>(١)</sup>.

والآيات تكشف لنا عن بعض ما ورد في تلك الصحف: ففي سورة النجم: بيانٌ للعدل الذي قامت عليه السموات والأرض، أنه لا يتحمل أحدُّ وزر أحدٍ، وكل إنسانِ مؤاخذٌ بسعيه، لا يتحمل وزر غيره، ولا ينال حق غیره، وسوف یری ما قدم من خیر أو شرِ،

وسيعرض عمله، ويجازي عليه جزاءً عادلا، وأن مصير الإنسان ومنتهاه لربه، وهو تعالى المدبر لهذا الكون، فلا فرح ولا حزن، ولا موت ولا حياة، إلا بأمره تعالى ومشيئته، فهو الخالق المدير، وهو المبدئ المعيد، المغنى المقنى، المنظم لأمر الكون، المنتقم من الجبابرة الطغاة، والكفرة العتاة. أما آيات سورة الأعلى ففيها دعوةٌ لتزكية الأنفس، ومداومة الذكر، وإقام الصلاة، ونهيُّ عن إيثار الحياة الدنيا والاغترار بزخارفها الفانية، وترغيبٌ في الآخرة فهي خيرٌ وأبقى. فالآيات تتحدث عن الأصول العامة والقواعد الكلية: الخالق، الكون، الحياة، الإنسان، المنهج، المبدأ، المعاش، الزاد، المعاد. من هنا ندرك أن رسالات الله وكتبه نزلت لهداية الإنسان وإصلاحه، وتوجيهه للخير في عاجله وآجله.

ونخلص من ذلك إلى أن محور هذه الكتب المنزلة: هو الإنسان، هدايته وإصلاحه ورسالته وعلاقته بهذا الكون، والتصور الصحيح لحقيقة الدنيا والآخرة، كما جاءت الكتب الإلهية لإقامة موازين العدل في ربوع الكون، وبيان خطر المسئولية والجزاء. وقد وصفها الله تعالى بأنها من الصحف الأولى، والنذر الأولى: وهذا يعنى كونها مكتوبة، وأنها جاءت بالأخبار والمواعظ، أما وصفها بالأولى

<sup>(</sup>١) الكشف والبيان، الثعلبي ٦/٢٦٧.

فمنهم من قال: الإشارة لكل ما ورد في السورة من معاني وحكم وأحكام ونذر، ومنهم من قال: الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَا أَنْكُ مَا وَذَكُرُ اللهُ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿ الْأَبْلُ اللهُ وَلَا الْمُعَنِّ وَاللهُ عَلَيْ اللهُ وَاللهُ عَلَيْ وَاللهُ وَاللّهُ وَلّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَالل

وأرى أن القول الأخير هو الأولى بالقبول لأنه هو القريب، والأصل في الإشارة أن تكون للقريب.

وقدمت صحف موسى مرة، وقدمت صحف إبراهيم أخرى: لمراعاة الأسبقية في الأفضلية، والأسبقية الزمانية، فإن للتوراة مكانتها العظيمة، وقد ورد الحديث عنها كثيرا في القرآن، هذا فضلا عما في التقديم والتأخير من تفنن في البيان، واستيعاب للمعاني، مع مراعاة الفاصلة في كلا الموضعين. وفي سورة الأعلى: لما أشار إلى الصحف جملة، وأنها الأولى: ناسب ذلك ترتيبها حسب زمانها، فبدأ بصحف إبراهيم، وثنى بصحف موسى.

أما في سورة النجم: فلقد بدأ بصحف موسى لأنها أشمل وأوسع وأقرب عهدا،

ولا زالت منها بقيةٌ باقيةٌ في أيدي أهل الكتاب، بينما اندرست صحف إبراهيم، فاستحقت صحف موسى التقديم.

قال الزركشي: "قدم ذكر صحف موسى لوجهين، أحدهما: أنه في سياق الاحتجاج عليهم بالترك، وكانت صحف موسى منتشرة أكثر انتشارا من صحف إبراهيم، وثانيهما: مراعاة رؤوس الآي» (١).

<sup>(</sup>١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٣/ ٢٣٩.

## الكتب المنزلة والموقف منها

بين القرآن الكريم ما يتوجب على الأمم نحو الكتب التي أنزلها على أنبيائهم، وهو الإيمان بها وتصديقها والعمل بما جاء فيها والتماس الهدايات منها، وواجبنا نحن أمة الإسلام أن نؤمن بالكتب السابقة كما حدثنا عنها ربنا، ونعظمها ونقدسها فضلا عن إيماننا بالقرآن الكريم آخر الكتب وأعظمها.

# أولًا: الإيمان بها جميعًا:

دعا الله تعالى في كتابه الكريم إلى الإيمان بما سبقه من كتبٍ أنزلها على أنبيائه إجمالًا فيما أجمل، وتفصيلًا فيما فصل.

قال تعالى: ﴿ مَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِيهِ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلُّ مَامَنَ بِاللهِ وَمَلَتَهِكِيهِ وَكُثُهُهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ آحَدِ مِن رُّسُلِهِ \* ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿ يَنَائَمُ اللَّذِينَ مَامَنُوا مَامِنُوا مَامِنُوا مَامِنُوا مَامِنُوا مِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِنْبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِنْبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِنْبِ اللَّهِ وَالْكِنْبِ اللَّهِ مَا لَكُوْمِ اللّهِ وَمَلْتَهِ كَتَبِ كَتُهُ مَا لَكُوْمِ اللَّهِ وَمَلْتَهِ كَتَبِ كَتُهُ مَا لَكُوْمِ اللَّهِ فَقَدْ وَمَلْتَهِ كَتَبِ كَتَبِ كَتَبِ كَتَبِ اللَّهِ مَا لَكُوْمِ اللَّهِ فَقَدْ وَمَلْتَهِ كَتَبِ كَتَبِ كَتَبِ كَتَبِ اللَّهِ مِنْ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الل

والكتاب الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم هو القرآن الكريم خاتم الكتب، نزل على خاتم النبيين، والكتاب الذي أنزل من قبل: المرادبه التوراة باعتبارها آخر ما نزل قبل القرآن، وإنما لم يذكر

الإنجيل؛ لأن التوراة هي الأصل، والإنجيل جاء متمما لها، أو المراد بالكتاب ما سبق من كتب، وإنما أفردها مع كثرتها باعتبار أنها كتابٌ واحدٌ، خرجت جميعها من مشكاة واحدة، ونزلت كلها لغاية واحدة هي توحيد الله تعالى وعبادته، وإقامة موازين القسط.

وقال تعالى: ﴿ قُولُواْ ءَامَنَكَا بِاللّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَهِءَ وَإِسْمَعِيلَ وَإِسْمَحْقَ وَيَمْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِي مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِي ٱلنَّبِيُّونَ مِن زَيِّهِ مِ لَا نُفَرِقُ بَيْنَ أَحَدِ مِنْهُمَ وَغَنْ لَهُ مُسْلِمُونَ السَّ ﴾ [البقرة: ١٣٦].

فأمر الله بالإيمان الكامل والتصديق التام بكل ما أنزل على أنبيائه، دون تفريق بين نبي ونبي، وأن نعلن التسليم المطلق له تعالى. والإيمان بكل ما أنزل من صفات المتقين كما جاء في مطلع سورة البقرة ﴿ وَاللَّهِنَ بُوْمَنُونَ مِنَ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن مَبْلِكَ مَا أَنزِلَ إِلْكَ مَا أَنزِلَ مِن مَبْلِكَ مَا أَنزِلَ مِن مَبْلِكَ مَا أَنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزِلَ مِن مَبْلِكَ مَا أَنزِلَ مِن مَبْلِكَ مَا أَنزِلَ مِن مَبْلِكَ مَا أَنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزِلَ مِن مَبْلِكَ مَا أَنزِلَ مِن مَبْلِكَ مَا أَنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزِلَ مِن مَبْلِكَ مَا أَنزِلَ إِلْكِ مِن مَبْلِكَ مَا أَنزِلَ إِلْكُونَ مَا أَنزِلَ اللهِ قَالَ مَا أَنزِلَ اللهِ قَالَ مَا أَنزِلَ اللهِ قَالَ مَا أَنزِلَ اللهِ قَالَ مَا أَنزِلَ اللهِ قَالَالِهُ مَا أَنزِلَ اللهِ قَالَ مَا أَنزِلَ اللهِ قَالَ اللهِ قَالَ اللهِ قَالَ اللهِ قَالَوْنَ اللهُ مَا أَنزِلَ اللهِ قَالَ مَا لَا قَالِهُ مَا أَنْ لَا مَا أَنْ لَا مَا أَنْ لَا اللهِ مَا عَالَمَ اللهِ مَن مَلْكُونَ اللهِ مَا عَالِهُ اللهِ مَا اللّهِ مَا أَنْ لَا مِن مَلْكُونَا اللّهِ مَا اللّهِ مَا عَلَيْكُونَا اللّهِ مَا أَنْ لَا مِنْ مَا أَنْ لَا مِنْ مَا اللّهِ مَا اللّهُولُ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ الللّهِ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهِ الللّهِ الللّهُ الللّهِ الللّهِ الللّهُ الللللّهِ اللّهِ الللللّهُ اللللللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهِ اللّهِ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّه

وفي ختام السورة دعوةٌ للإيمان بسائر الكتب.

قال تعالى: ﴿ مَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أَنْ إِلَيْهُ مِن رَّبِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمُلْتَهِكَيْهِ وَ وَكُنْهُ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ آحَدٍ مِن رُسُلِهِ وَ وَقَالُوا سَعِمْنَا وَأَطَمَنَا عُفْرَانَك رَبِّنَا وَإِلَيْكَ الْمَعْمِيدُ الْكُ اللَّهِ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَنبُ ﴾ [الشورى: ١٥].

فالإيمان بسائر الكتب المنزلة واجبً على كل مؤمن لا يستقيم إيمانه ولا يتم إلا به. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَائِيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَنَ فَى مِرْيَةِ مِن لِقَالِهِ قَ وَجَعَلْنَاهُ هُدُى لَكَن فِي مِرْيَةٍ مِن لِقَالِهِ قَ وَجَعَلْنَاهُ هُدُى لِبَيْنَ إِسْرَه بِلَ السجدة: ٢٣].

أي: فلا تكن في مرية من نزول التوراة عليه وتلقيه لها، أو من لقائه يوم القيامة حيث يجمع الله الرسل عليهم السلام، فما أجمله من لقاء (١).

ومعنى الإيمان بالكتب: الإيمان بها على إطلاقها وأنها منزلةٌ من عند الله على أنبيائه ورسله، والإيمان بما ورد فيها من هدى ونور، وموعظة وذكرى، وتفصيل وبيانٍ، وفي حديث جبريل عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (فأخبرنى عن الإيمان. قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره).

فالمؤمن مطالبٌ بأن يعلن عن موقفه من الكتب المنزلة، ويبين عن إيمانه بها، وهذه هي دعوة الإسلام، فالإيمان بالكتب المنزلة من الأركان الثابتة، والمبادئ الراسخة التي فرضها الإسلام، فكل كتابٍ أنزله الله تعالى، أخبرنا عنه القرآن، أو لم يرد خبره

فنحن مكلفون بالإيمان بالكتب جملة، ولا يتم إيمان العبد ولا يستقيم منهجه حتى يؤمن بالكتب المنزلة كلها، هذا هو منهج الإسلام الواضح، ودعوته الصادقة وطريقه المستقيم.

وقد بينت الآية الكريمة مع سياقها أن الإيمان بالكتب السابقة ركن من أركان الإيمان، وأن الواجب على الأمة أن تعلن ذلك، وأن تقف ذلك الموقف في مقابل إنكار وتشكيك أعداء القرآن، وأن تعلن إيمانها بجميع الكتب المنزلة ولا يضرها كفر الكافرين، ولا يجوز مقابلة جحود أهل الكتاب للقرآن بجحود التوراة والإنجيل، بل الإيمان بالكتب المنزلة كلها ركن من أركان الإيمان لا يتم بدونه، وهو إيمان ثابت لا بتدل.

والتعبير بـ (من) الدالة على الاستغراق وتنكير الكتاب؛ لبيان وجوب الإيمان بكل كتاب أنزله تعالى، جملة فيما أجمل وتفصيلا فيما فصل. قال أبو السعود رحمه الله: «بيانٌ لاتفاق الكتب في الأصول، وتأليفٌ لقلوب أهل الكتابين، وتعريضٌ بهم» (٣). فقد كفروا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وكان لا يسعهم إلا الإيمان به.

قال الشيخ الحكمي في معارج القبول: «والركن الثالث: الإيمان «بكتبه المنزلة»

<sup>(</sup>١) انظر: تفسير السمرقندي ٣٦/٣.

<sup>(</sup>٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، ١/ ٣٦، رقم ٨.

<sup>(</sup>٣) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٨/ ٢٧.

على رسله، ومعنى الإيمان بالكتب التصديق الجازم بأن كلها منزلٌ من عند الله عز وجل على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين، وأنها كلام الله عز وجل لا كلام غيره، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقةً كما شاء وعلى الوجه الذي أراد»(١).

فالإيمان بالكتب السابقة ركن من أركان الإيمان ثابتٌ لا يتبدل ولا يتغير، يجب الإيمان بها إجمالا فيما أجمل، وتفصيلا فيما فصل، ومن مقتضيات تمام الإيمان بها معرفة مقاصدها وأسمائها وأوصافها.

ثانيًا: تصديق الكتاب المتأخر لما نزل قبله:

كتب الله تعالى يصدق بعضها بعضا، فكل رسالة تأتي مصدقة لما قبلها، فالكتب الإلهية يصدق بعضها بعضا. «ومعنى التصديق كونه موافقًا في التوحيد والنبوات وأصول الشرائع» (٢).

وقد جاء الإنجيل مصدقًا لما بين يديه من توراة.

قال تعالى: ﴿ وَقَفَيْنَا عَلَىٰ الْتَرْدِهِم بِعِيسَى أَبَنِ
مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَكَدِّهِ مِنَ التَّوْرِدَةِ وَمَاتَيْنَكُ
الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدُى وَنُورُ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَكَيِّهِ
مِنَ التَّوْرَائِةِ وَهُدَى وَمُوعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ النَّ ﴾
وأن التَّوْرَائِةِ وَهُدَى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ النَّ ﴾
[المائدة: ٤٦-٤٧]].

قال ابن كثير: «ومصدقًا لما بين يديه من التوراة، أي متبعًا لها غير مخالف لما فيها، إلا في القليل مما بين لبني إسرائيل بعض ما كانوا يختلفون» (٣).

كما جاء القرآن الكريم مصدقا للتوراة والإنجيل وما سبقهما.

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَبِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

كذلك كل نبي أخذ الله عليه العهد والميثاق أن يؤمن بكل من يليه من الأنبياء إن عاصره.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَ أَخَذَ اللهُ مِيثَنَى النَّبِيِّنَ لَمُا ءَاتَيْتُكُم مِن كِتَب وَحِكْمَةِ النَّبِيِّنَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِن كِتَب وَحِكْمَةِ ثُمُ مَا أَهُ مَا مَعَكُمْ لَتُوْمِئُنَ ثُمُ مَا مُعَكُمْ لَتُوْمِئُنَ بَعْ وَلَتَنعُمُ لَتُوْمِئُنَ مُعَلَّمُ مَا مُعَكُمْ مَن بِهِ وَلَتَنعُمُ لَتُوْمِئُنَ أَعَلَ وَاللَّهُ مَا مَعَكُم مِن السَّهِينَ اللهُ الْقَرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِن الشَّهِينِ اللهُ اللهُ اللهُ عمران: ١٨].

قال الطبري: "وإذ أخذ الله ميثاق النبيين بما ذكر، فقال لهم تعالى ذكره: أأقررتم بالميثاق الذي واثقتموني عليه: من أنكم مهما أتاكم رسولٌ من عندي مصدق لما معكم "لتؤمنن به ولتنصرنه" "وأخذتم على على ذلك إصري"؟ يقول: وأخذتم على ما واثقتموني عليه من الإيمان بالرسل التي تأتيكم بتصديق ما معكم من عندي والقيام

<sup>(</sup>١) معارج القبول ٢/ ٢٧٢ باختصار.

<sup>(</sup>٢) البحر المحيط، أبو حيان ٣/ ٢٤٢.

<sup>(</sup>٣) تفسير القرآن العظيم، ٣/ ١٢٦.

بنصرتهم «إصري». يعني عهدي ووصيتي، الظاهر أنه علة لإنزال وقبلتم في ذلك مني ورضيتموه.». «قالوا أن يكون علة لإنزال أقررنا»، فإنه يعني به: قال النبيون الذين أخذ لأن القسط هو الع الله ميثاقهم بما ذكر في هذه الآية: أقررنا بما منها»(١٠). مصدقين لما معنا من كتبك، وبنصرتهم. قال وقال الشوكاني: الله: ﴿فَالْمُهُدُوا ﴾، أيها النبيون، بما أخذت بالقسط ليتبعوا ما التي تأتيكم بتصديق ما معكم من الكتاب وقال تعالى: ﴿قَالَ الله الله الله الله الأمم إذ أنتم أخذتم ميثاقهم الكين بالمقرق ليتحكم عن الأمم إذ أنتم أخذتم ميثاقهم الكين بالمقرق ليتحكم على ذلك، وأنا معكم من الشاهدين عليكم فيا البقرة: ٢١٣]. وعليهم بذلك (١).

# ثالثًا: وجوب تحاكم النبي وأمته إلى الكتاب المنزل:

ما أرسل الله نبيا إلا وجعل له شريعة يدعو إليها ويأمر بها.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا مِالْبَيِّنَتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِنْبَ وَالْمِيزَاتَ لِيَقُومَ الْنَاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥].

فما من رسول أرسله الله تعالى إلا وأرسله بالحجج النيرة والدلائل الواضحة والشريعة الغراء التي تقيم موازين العدالة بين الناس وترعى جميع الحقوق المشروعة.

قال أبو حيان: «ليقوم الناس بالقسط:

الظاهر أنه علةٌ لإنزال الميزان فقط، ويجوز أن يكون علةً لإنزال الكتاب والميزان معًا، لأن القسط هو العدل في جميع الأشياء من سائر التكاليف، فإنه لا جور في شيء منها»(٢).

وقال الشوكاني: «ومعنى ليقوم الناس بالقسط ليتبعوا ما أمروا به من العدل فيتعاملوا فيما بينهم بالنصفة» (٣).

وقال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَحِدَةً فَبَعَثَ النَّهُ النَّبِيَّتَنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ النَّبِيِّتَنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ النَّكِئنَبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَقُوا فَيْ النَّاسِ فِيمَا الْخَتَلَقُوا فَيْ النَّاسِ فِيمَا الْخَتَلَقُوا فَيْ النَّاسِ فِيمَا النَّاسِ فِيمَا الْخَتَلَقُوا فَيْ النَّاسِ فِيمَا النَّسْ فِيمَا النَّاسِ فَيْ اللَّهِ فَالْعَلَى اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ فَيْ اللَّهُ اللَّهِ فَيْ اللَّهِ فَالْمَاسِ اللَّهِ اللَّهِ فَا لَالْعُلْسُ اللَّهِ فَالْمَاسِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الْعَلْمُ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الْعَلْمُ اللَّهُ اللَّهِ اللْعَلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْعَلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْ

فكان لا بدمن شريعة يحتكم الناس إليها، شريعة لها قدسيتها وجلالها في النفوس، شريعة يجتمع حولها الناس ويرتضونها ولا سبيل لذلك إلا بالمنهج الرباني الذي يسع الجميع ويلزم الجميع ويذعن له الجميع، إذ القوانين البشرية لا قداسة لها ولا كرامة في النفوس، فضلا عن قصورها عن تحقيق العدالة والتوزان بين الحقوق.

فدعا الله تعالى كل أمة من الأمم للاحتكام بالكتاب الذي نزل على نبيهم أو لشريعة من سبقه من الأنبياء.

قال تعالى عن تحكيم التوراة: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَثُورًا مِيكَامُمُ بِهَا

<sup>(</sup>٢) البحر المحيط ١١٣/١٠.

<sup>(</sup>٣) فتح القدير، الشوكاني ٥/ ٢١٢.

<sup>(</sup>١) جامع البيان ٦/ ٢٦٥.

ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسَلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّيِّنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا أَسْتُحْفِظُوا مِن كِئلْب ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءً فَكَلَا تَخْشُوا ٱلنَّكَاسَ وَٱخْشُونِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِنَايَتِي ثَمَنَّا فَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَعَكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَتَهِكَ هُمُ ٱلْكَنْفِرُونَ الله [المائدة: 33].

فالتوراة وحيٌ من الله تعالى وتنزيلٌ من لدنه، نزلت بالهدى والنور، هدى للناس ونور يضيء لهم دروب حياتهم وطريقهم إلى مرضاة ربهم، وسعادتهم الأبدية، وهي شجرةٌ ظليلةٌ مثمرةٌ استظل بها النبيون الذين انقادوا لأوامر الله ورضوا بحكمه، فهي شرعتهم ومنهاجهم. واقتطف منها واحتكم إليها أولئك الربانيون، الذين جمعوا بين تحصيل العلم النافع، والعمل الصالح، وبذلوا جهدهم في تعليم الناس وتربيتهم، فغايتهم وبغيتهم ربانيةً. والتوراة معينهم الذي منه ينهلون، وموردهم الذي عنه يصدرون. والأحبار هم العلماء الذين بلغوا في العلم رتبةً عاليةً، فهم جميعًا أمناء على كتاب الله، شهداء عليه، حراسٌ له، فهلا تأسى بهم من خلفهم من اليهود، وهل يسيرون على نهجهم ؟

فلا يخافون في الحق لومة لائم، ولا يبيعون دينهم بعرضٍ زائلٍ، فيفرطوُن في آيات الله ويضيعونها لقاء ثمن زهيد ﴿فَكُ تَخْشُوا ٱلنَّاسَ وَٱخْشُونِ وَلَا تَشْتَرُوا

بِعَايَنِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّدَ يَحَكُّم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَتِيكَ هُمُ ٱلْكَنْفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ وَكَتَبَّنَا لَهُ فِي ٱلْأَلُواحِ مِن كُلِ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَقْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأَمُر قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

فقد وصفها الله بأنها جامعة لأصول الإيمان والمواعظ والأحكام، وأمر بالجد والعزم في أخذها(١).

قال ابن العربي: «والصحيح عندي أن أحسن ما فيها: امتثال الأوامر واجتناب النواهي»(۲).

وقال الشوكاني: «ومن الأحسن: الصبر على الغير والعفو عنه، والعمل بالعزيمة دون الرخصة، وبالفريضة دون النافلة، وفعل المأمور به، وترك المنهي عنه الشهر المأمور به،

فالمراد علو الهمة في الاستمساك بها، والمسارعة إلى العمل بأحكامها، وأخذها بعزيمةِ وقوةٍ، كما قال تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿ يَنِيَحِينَ خُذِ ٱلْكِتَابَ بِغُوِّقٌ ﴾ [مريم: ١٢].

وقد أمر الله يحيى عليه السلام وهو لا يزال في صباه أن يأخذ بها.

قال تعالى: ﴿يَنِيَحِينَ خُذِ ٱلْكِتَابَ بِفُوَّةً

<sup>(</sup>١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا

<sup>(</sup>٢) أحكام القرآن، ابن العربي ١٩/٤.

<sup>(</sup>٣) فتح القدير، الشوكاني ٣/ ٩٠.

## وَءَانَيْنَكُ ٱلْمُكُمُّ صَبِيتًا الله المريم: ١٢].

وبين الله تعالى شيئا مما تضمنته التوراة، في جانب الأحكام الشرعية العادلة التي نزلت لحماية الإنسان وحفظ دينه، وروحه، وعقله، وبدنه، وماله، وعرضه. قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجَلِ ذَالِكَ كَنَبْنَا عَلَى بَنِي ٓ إِسْرَهِ مِلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلأَرْضِ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلأَرْضِ فَكَ أَنَّما قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَ أَنَّما قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَ أَنَّهَا أَنْهَا بَالْبَيْنَتِ ثُمّ إِنْ كَيْمِيكًا وَلَقَد جَمَاةً تَهُمُ دُرُسُلُنَا بِٱلْبَيْنَتِ ثُمّ إِنْ كَيْمِيكًا مِنْهُ مَ اللَّهُ مِن لَمُسْرِقُونَ السّالِهِ المائدة: ٣٢].

أي: لجرم وشناعة قتل النفس البريئة والاعتداء على حقها في الوجود، أوجب الله على تعالى على بني إسرائيل في كتبه وعلى لسان رسله وألزمهم، أن من قتل من لا يستحق القتل لأنه لم يقتل أو يفسد في الأرض، فكأنما بجرمه هذا قتل الناس جميعا، ومن ساهم في إنقاذ نفس فكأنما أحيا الإنسانية جميعا، ولقد أرسل الله رسله في بني إسرائيل بالحجج الباهرة والشرائع القويمة، لكن الكثير منهم بقي على فسقه وإسرافه في الأرض بإهدار الدماء وهتك الأعراض واستحلال الأموال.

وكتب الله تعالى نزلت لتحكم وتسود حياة الناس وتقضي بينهم، فهي العدل الذي فرضه الله، وفي تعطيلها الظلم الشنيع،

وقد شدد الله عليهم في الأمر بتحكيمها بعد أن وقع منهم التساهل والتفريط وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَنَقْنَا اللَّبَيْلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ، طُلَّةٌ وَظَنْوا أَنَّهُ وَاقِعً بِهِمْ خُدُوا مَا عَاتَيْنَكُم بِقُوّةِ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَكُمْ نَنْقُونَ ﴾ [الأعراف: وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَكُمْ نَنْقُونَ ﴾ [الأعراف: 1٧١].

فأمرهم الله تعالى بأن يأخذوا أحكام التوراة بجد وعزم وأن يتركوا ما كانوا عليه من تقاعس وتهاون، فكتب الله تعالى لن يقوى على العمل بها أصحاب النفوس الضعيفة والهمم المتدنية، وهذه الآية العظيمة داعية إلى تعظيم التوراة والقيام بحقها، ودليلٌ على قساوة قلوب اليهود حتى يؤاخذوا بهذه الطريقة.

قال مجاهد: وسبب رفع الجبل عليهم أنهم أبوا أن يقبلوا فرائض التوراة لما فيها من المشقة، فوعظهم موسى فلم يقبلوا، فرفع الجبل فوقهم وقيل لهم: إن أخذتموه بجد واجتهاد وإلا ألقي عليكم. قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: فأخذوه بقوة ثم

نكثوا بعد<sup>(١)</sup>.

ونعى القرآن عليهم كيف يدعون إلى الاحتكام لشريعة الحق ثم يعرضون عنها. قال تعالى: ﴿ أَلَا تَرَ إِلَى النَّبِي أُوتُوا نَصِيبًا مِن الْحَيْنَ اللَّهِ لِيَحْكُم بَيْنَهُمْ مُنْ يَنَوَلُونَ اللَّهِ كِنْكِ اللّهِ لِيَحْكُم بَيْنَهُمْ مُنْ يَنَوْلُونَ اللَّهِ كِنْكِ اللّهِ لِيَحْكُم بَيْنَهُمْ مُنْ يَنَوْلُونَ اللَّهِ لِيَحْكُم بَيْنَهُمْ مُنْ يَنْهُمْ مُعْمِضُونَ اللهِ الهُ اللهِ اللهِل

فكان الإعراض عن القرآن نتيجة لإعراضهم عن كتبهم التي يزعمون أنهم مؤمنون بها متمسكون بما فيها، وكان الحري بهم وقد أوتوا حظًا من العلم بكلام الله إذا دعوا إلى القرآن الذي خرج من المشكاة التي خرج منها التوراة والإنجيل أن يبادروا إلى الاستجابة له، وقبول أحكامه. وجاء الاستفهام ليحمل معنى التعجيب والإنكار، والتعبير ب «ثم» فيه معنى الاستبعاد، كيف يدعون إلى الحق فيعرضون عنه؟

وهذا التولي مصاحبٌ لموقفهم الثابت من هذا الكتاب وهو الإعراض التام الذي لا مبرر له سوى التمرد والجحود، والمفاهيم الخاطئة عن الآخرة.

قال تعالى: ﴿ وَالِكَ بِأَنْهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَ رَبِّ وَعَرَّهُمُ فِي دِينِهِم مَّا كَاوُا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَ رَبِّ وَعَرَّهُمُ فِي دِينِهِم مَّا كَاوُا يَعْمَ اللَّهُ اللَّ

ذلك التولي والإعراض بسبب زعمهم أنهم إن دخلوا النار فلن يمضوا فيها سوى

أيام معدودات، فكانت تلك الفرية وغيرها من الفرى التي أقحموها في دينهم ودسوها في عقيدتهم من دواعي غرورهم وظنهم السيئ بربهم.

وحين بعث عيسى عليه السلام دعا الله تعالى أهل الكتاب إلى الاحتكام إلى الإنجيل مع التوراة التي نسخ بعض أحكامها.

قال تعالى: ﴿ وَقَفَيْنَا عَلَى ءَاثَنْرِهِم بِعِيسَى أَبَنِ
مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَكَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَدَيَّةً وَءَانَيْنَاهُ
الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدَى وَنُورُ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَكَيْهِ مِنَ
الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدَى وَمُوْعِظَةً لِلمُتَّقِينَ ﴿ اللَّهُ وَلَيْمَكُمُ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَمْ يَحَكُمُ الْفَنسِقُونَ لَا اللَّهُ فَيهً وَمَن لَمْ يَحَكُمُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهً وَمَن لَمْ يَحَكُمُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهً وَمَن لَمْ يَحَكُمُ الْفَنسِقُونَ ﴿ اللَّهُ فَاللَّهِ اللَّهُ فَيهً الْفَنسِقُونَ ﴿ اللَّهُ فَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ فَيمًا الْفَنسِقُونَ ﴿ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَمَا لَمْ الْفَنسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٦ - ٤٧].

قال الشوكاني: «قوله: ﴿ وَلَيَحْكُو أَهْلُ الْإِنْ مِمَا أَنْزَلَ اللّهُ فِيهُ ﴾: هذا أمرٌ لأهل الإنجيل بِمَا أَنْزَلَ اللّهُ فِيهُ الإنجيل بأن يحكموا بما أنزل الله فيه، وذلك قبل البعثة المحمدية، وأما بعدها فقد أمروا في غير موضع بأن يعملوا بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الناسخ لكل الكتب المنزلة» (٢).

وقوله ﴿ بِمَا آنَزُلَ اللهُ فِيدٍّ ﴾: حجةٌ على النصارى الذين يعرضون عن القرآن؛ فإذا

<sup>(</sup>۱) النكت والعيون، الماوردي ٢/٢٧٦.

<sup>(</sup>٢) فتح القدير، الشوكاني ٣١٧/٢. يعني بقوله: «فإنه قبل البعثة المحمدية حقًى» أن العمل به قائم وإن حرف قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم، لكن بقي منه بقايا من

كان تحكيمهم للإنجيل لأنه مما أنزل الله! فلماذا علماذا يتنكرون له ويعادونه!

وقوله: ﴿أَمْلُ ٱلْإِنْحِيلِ ﴾ دليلٌ على أنه مؤقتٌ بمرحلةٍ معينةٍ، وموجهٌ لطائفةٍ محددةٍ، هم بنو إسرائيل خاصةً، ومن هنا فإنه لم يؤمن بالإنجيل، ولم يؤمن بموسى من لم يؤمن بعيسى عليهما السلام.

قرأ حمزة: (وَلِيَحْكُم) بكسر اللام، وفتح الميم، والمعنى: آتيناه الإنجيل ليحكم، فالإنجيل مع ما لم ينسخ من التوراة شرعة ومنهاج للنصارى، وقرأ الباقون بسكون اللام والميم على سبيل الأمر: (وَلْيَحْكُمُ)(١).

(۱) قرأ حمزة بكسر اللام، ونصب الميم، وقرأ الباقون بإسكان اللام والميم. انظر: النشر في القراءات العشر ٢٥٤/، تحبير التيسير في القراءات العشر ٢/٤٧٦.

أي: يقولون سلامٌ عليكم.

والثاني: أن يكون قوله: (وليحكم) ابتداء أمرِ للنصاري بالحكم في الإنجيل.

والمقصود: أن يحكموا بما أنزل الله فيه مما لا يزال باقيا لم يحرف، ومعيار ذلك موافقته للحق الذي جاء به القرآن. وقد لفت نظري تكرار كلمة الإنجيل كأنها تشير إلى أكثر من إنجيل، فالإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام هو الإنجيل الحق.

بينما أشارت الآية الثانية إلى الإنجيل الموجود في أيدي النصارى، وهذا يجب أن يطبق منه ما دلت القرائن على أنه من بقايا الإنجيل الحق الذي أنزله الله بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَيَحَكُّ أَهَلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَا آَنْزَلَ الله في أَنْزَلَ الله وَلِيحِكُم أَهِلَ الإنجيل فِيهِ فَدل هذا على اشتمال الإنجيل على قدرٍ مرجعه للوحى والباقى من وضع البشر.

قال ابن حزم: «وأما قوله تعالى: ﴿ وَلِيَحْكُمُ آهَلُ اللهِ عِيلِ مِما آنَزَلَ اللهُ فِيهُ فَحَقّ على ظاهره لأن الله تعالى أنزل فيه الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واتباع دينه، ولا يكونون أبدا حاكمين بما أنزل الله تعالى فيه إلا باتباعهم دين محمد صلى الله عليه وسلم فإنما أمرهم الله تعالى بالحكم عليه وسلم فإنما أمرهم الله تعالى بالحكم بما أنزل في الإنجيل الذي ينتمون إليه فهم أهله، ولم يأمرهم قط تعالى بما يسمى إنجيلا وليس بإنجيل، ولا أنزله الله تعالى كما هو قط، والآية موافقة لقولنا، وليس فيها أن الإنجيل لم يبدل لا بنص ولا بدليل، فيها أن الإنجيل لم يبدل لا بنص ولا بدليل، الإنجيل أن يحكموا بما أنزل الله فيه، وهم على خلاف ذلك (١٠٠٠).

وعلى هذا فالآية حجةٌ على النصارى، وفيها تعجيزٌ لهم، فلا برهان لهم، ولا دليل، إلا في القرآن الذي حدثنا عن مضمون ومقصود الإنجيل الحقيقي، أو ﴿وَلْيَحْكُمُ أَهُلُ ٱلْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ فِيدً ﴾ ما لم ينسخ بالقرآن فيبطل العمل به، ومما ريب فيه أن

الحكم بما في الإنجيل يقود ويفضي إلى الحكم بالقرآن لأن حقائق الإنجيل تقرر ما في القرآن.

أما القرآن الكريم فقد جاء بالشريعة الغراء الكاملة التي فرض الله عزوجل الإيمان بها والعمل بأحكامها.

قال تعالى: ﴿ وَأَرَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ وَمُهَيْمِنَا مُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْحَكِتَبِ وَمُهَيْمِنَا عَلَيْةً فَاحْحُمُ بَيْنَهُم بِمَا أَرْلَ اللَّهُ وَلَا تَنْبِعُ الْمَوْاءَهُمْ عَمَا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُمْ الْمَوْاءَهُمْ عَمَا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُمْ الْمَوْعَةُ وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمُ فَاسْتَهِعُوا مِنْمَةً وَلَيْنِ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا ءَاتَنكُمْ فَاسْتَهِعُوا وَحِدةً وَلَيْنِ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا ءَاتَنكُمْ فَاسْتَهِعُوا الْخَيْرَتِ إِلَى اللَّهِ مَرْحِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُكْتِعْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَا تَتَبِعُ أَهْوَاءَهُمْ وَأَمْدُرُهُمْ الْنَاقِ مِنْ اللَّهُ إِلَيْكُ فَإِن تَوَلَّوا لِيَا اللَّهُ اللَّهُ إِلَيْكُ فَإِن تَوَلَّوا بِمَا أَرْلَ اللَّهُ إِلَيْكُ فَإِن تَوَلَّوا بِمَا أَرْلَ اللَّهُ إِلَيْكُ فَإِن تَوَلَّوا لِيَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْمَالِدَةُ هُوا مَنْ اللَّهِ عُكُما لِقَوْمِ يُوقِنُونَ كُلُولُ اللَّهُ إِلَيْكُ فَإِن تَوَلَّوا كَنْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْمُعْمِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ الْعَوْمِ يُوقِانُونَ اللَّهُ عَلَيْمُ الْعَوْمِ يُوقِانُونَ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْكُولُهُ الْعَوْمِ يُوقِانُونَ اللَّهُ عَلَيْهُ الْمَائِدةَ ٤٤ -١٥٠].

فأنزل الله آخر كتبه على خاتم رسله صلى الله عليه وسلم؛ امتدادا لما سبقه من الكتب وتصديقا بها؛ فنزوله دليلٌ على صدقها، وهو مهيمنٌ عليها: أمينٌ ورقيبٌ، وحكمٌ وشاهدٌ، ومبينٌ لما خفي منها، وموضحٌ لما أشكل فيها، وحافظٌ يقوم ما اعتراها من اعوجاج، وينفي ما لابسها من أباطيل وخرافاتٍ،

<sup>(</sup>١) الفصل في الملل والنحل، ابن حزم ١٥٩/١.

مستوعبٌ لما جاء في أصولها، ومتممٌ لها، هو المرجع الذي يحتكم إليه عند التنازع في شأنها، وأمر تعالى بتحكيم كتابه والعمل به، وتعظيمه، ونهى عن اتباع ما عليه أهل الضلال من أهواء، وقد جعل الله لكل أمةٍ شرعة تحتكم إليها ومنهاجا تسير عليه بما يحقق مصالحها ويلبي حوائجها، ولو شاء الله لجمع البشرية على منهجٍ واحدٍ وشرعةٍ واحدة.

ولكن اختلاف الناس وتباين مشاربهم وتوجهاتهم سنة الله ومشيئته ثم يأمر الله تعالى بتحكيم شرعه ففيه الخير والصلاح والرحمة بالإنسانية، وفيه البركة والسعد لكل من أذعن له ورضي به، وينهى عن اتباع ما عليه أهل الضلال من أهواء يحتكمون إليها مع ما فيها من تعسف وظلم، ويحذر من كيد أعداء الدين وتحايلهم لصرف أهل الإسلام عن شريعتهم ومنهاجهم، والتلبيس عليهم وتعطيل الأحكام؛ لنشر الظلم وإشاعة الفوضى في المجتمعات.

وإذا كان الاستجابة لبعض دعواتهم والانقياد لهم والسقوط في شراكهم بتعطيل بعض ما أنزل الله فتنة يجب الحدر منها، فإن أعرضوا وانصرفوا عن شرعة الله ومنهاجه الذي ارتضاه لعباده وجعل فيه صلاحهم، فاعلم أن الله تعالى يريد عقوبتهم وحرمانهم، وقد جبلت نفوس كثيرة على

الصدود والإعراض والانفلات عن شريعة الله تعالى والتحايل عليها والخروج عنها، ثم أنكر الله على من هجر شريعته ورضي بأهواء وأحكام الجاهلية مع ما تحمله من جهل وسفه وتناقض وتخبط وظلم وقسوة، وحمية ورجعية، مع ذلك تجد من ينادي بها ويطالب بتطبيقها.

وأنكر تعالى على من يعتقد خلاف ذلك، ويقرر تعالى أن حكمه تعالى هو المقدم، فلا يضاهيه ولا يضارعه حكم، ولا يمتثل لشريعة الله إلا أهل اليقين، الذين وقر الإيمان في قلوبهم ونور بصائرهم وهيئ نفوسهم لقبول شرع الله والرضا بحكم الله.

# رابعًا: اشتمال الكتب المنزلة جميعًا على وجوب الإيمان بخاتم النبيين:

ما بعث الله من نبي ولا أنزل من كتاب إلا وبشر فيه بخاتم النبيين، وجلى أوصافه للمؤمنين، فبشر به كل كتاب وأخبر عنه كل نبي، وقد أخذ الله الميثاق على جميع أنبيائه بالإيمان بهذا النبي ومؤازرته إن أظلهم زمانه، ودعوة أتباعهم إلى ذلك.

قال جل وعلا: ﴿ وَاكْتُبُ لَنَا فِي هَلَاهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال

يَتَبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَرْضَ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكُنُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَئِنةِ وَالْإِنجِيلِ مَكْنُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَئِنةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم وَالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكِرِ وَيُحِيلًا لَهُمُ الطَّيِبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الطَّيْبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَنْقِيمُ وَيُصَرِّمُهُمْ وَالْأَغْلَالَ الْحَرَاقُهُمْ وَالْأَغْلَالَ اللَّي كَانَتُ عَلَيْهِمُ فَاللَّذِينَ مَامَنُوا بِهِ وَعَزَرُوهُ النَّي كَانَتُ عَلَيْهِمُ وَالنَّغُوا النُّورَ الَّذِينَ أَنزِلَ مَعَهُمُ أَوْلَئِيكَ وَنَصَكُرُوهُ وَالتَّبَعُوا النُّورَ اللَّذِينَ أَنزِلَ مَعَهُمُ أَوْلَئِيكَ هُمُ الْمُغْلِحُونَ السَّا ﴿ الأعراف: ١٥٦ - الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧].

فلقد جاءت أوصاف نبينا صلى الله عليه وسلم مكتوبة في التوراة والإنجيل وعلى إثرها وفي ضوئها آمن من آمن من علماء أهل الكتاب، وكان اليهود والنصارى يترقبون مجيء هذا النبي الأمي الذي يبعث بالرحمة ويرفع الله به الحرج ويضع عنهم الأصار التي أرهقتهم، ويحط الأغلال التي أمقلتهم، وكانوا يتواصون ويتعاهدون على نصرته ومؤازرته، فلما بعث آمن منهم من تجرد للحق وأخلص له، وأعرض من خاب وخسو.

فلم يقتصر الحديث في التوراة والإنجيل على أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم، بل ورد الحديث كذلك عن أوصاف أصحابه ومناقبهم، كما أشارت الآية الكريمة، أن الله تعالى ضرب لنبيه صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم أروع الأمثلة في التوراة والإنجيل، حيث بدأت دعوة الإسلام غريبة، ولم تلبث أن قوي عودها وانتشر عبيرها وأورقت شجرتها وأينعت ثمارها. ولا تزال الكتب السابقة تحفل بالبشارات التي بقيت شاهدة وهادية لطريق إمام المرسلين صلى الله عليه وسلم.

وقال جل وعلا: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِسَى آبَنُ مَرْيَمَ يَنَيْنَ إِسْرُهُ مِلَ إِنِّ رَسُولُ ٱللّهِ إِلَيْكُم تُصَدِقًالِمَا بَيْنَ يَدَئَ مِنَ ٱلنَّوْرَيْةِ وَمُبَيْتِمُ رِسُولِ يَأْقِ مِنْ بَعْدِى ٱسْمُهُ أَحَدُ فَلَنَا جَاءَهُم بِالْبِيِّنَاتِ قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينُ ( ) [الصف: ٢].

فلقد جاء عيسى عليه السلام مصدقا بالتوراة ومبشرًا بخاتم الأنبياء.

#### القرآن الكريم والكتب المنزلة قبله

تحدث القرآن الكريم عن موقفه من الكتب المنزلة فقد جاء مصدقا لها داعيا للإيمان بها، مهيمنا عليها، حافظا وأمينا ومستوعبا لها، موثقا لها حيث انقطعت أسانيدها واندثرت أصولها وتعرضت للتحريف، فجاء القرآن بالحق فيها.

# أولًا: القرآن مصدق لما بين يديه من الكتب:

جاء القرآن الكريم مصدقا لتلك الكتب، فبين أنها نزلت بالحق من عند الله تعالى، وأنها بشرت بالنبي العربي الأمي، وقد ورد الحديث عن تصديق القرآن الكريم بالكتب السابقة في أكثر من عشرة مواضع، تقرر تلك الحقيقة وتذكر بها، فقد جاء القرآن مصدقًا للكتب المنزلة قبله، مصدقًا بنزولها، وبما بقي في تلك الكتب التي بين أيديهم من بقي في تبدل، فلا زالت بشاراتٌ كثيرةٌ باقيةٌ في كتبهم، شاهدةٌ للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته.

ولقد جاء الحديث عن تصديق القرآن بالكتب السابقة في سياق بيان مقاصد القرآن ووجوب اتباعه، ودعوة أهل الكتاب إلى الإيمان به، والاحتجاج عليهم والرد على أقوالهم، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلِيّكَ ٱلْكِتَبَ إِلَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَبَ

## وَمُهَيِّمِنًا عَلَيْهِ فَأَحَكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٨].

وتصديقه لها لأنها أخبرت بمجيئه، ووقوع المخبر به يدل على صدق من أخبر، ويدل كذلك على صدق القرآن، لأنه لو كان من عند غير الله لم يوافقها. عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: ﴿مُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَبِ ﴾، فهو القرآن شاهدٌ على التوراة والإنجيل مصدقًا بهما»، وروي عن قتادة، قال: «الكتب التي خلت قبله»(۱).

وقال ابن كثير: «وقوله: ﴿مُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيِّهِ ﴾ أي: من الكتب المنزلة قبله من السماء على عباد الله والأنبياء، فهي تصدقه بما أخبرت به، وبشرت في قديم الزمان، وهو يصدقها لأنه طابق ما أخبرت به، وبشرت من الوعد من الله بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن العظيم عليه.» (٢).

فالقرآن جاء مصدقا للتوراة والإنجيل، وسائر الكتب المنزلة من عند الله تعالى، ومصدقا بنزولها من عند الله تعالى ومصدقا لمقاصد تلك الكتب ومضمونها، ومصدقا على وجه الخصوص بما حدثت عنه.

وقال الرازي: «والمعنى أنه مصدقً لكتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولما



<sup>(</sup>١) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم ٤/ ٤٩٥.

<sup>(</sup>٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/٢.

أخبروا به عن الله عز وجل، ثم في الآية وجهان: الأول: أنه تعالى دل بذلك على صحة القرآن، لأنه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقًا لسائر الكتب، لأنه كان أميًا لم يختلط بأحدٍ من العلماء، ولا تتلمذ لأحدٍ، ولا قرأ على أحدٍ شيئًا، والمفتري إذا كان هكذا امتنع أن يسلم عن الكذب والتحريف، فلما لم يكن كذلك ثبت أنه إنما عرف هذه القصص بوحي الله تعالى. الثاني: قال أبو مسلم: المراد منه أنه تعالى لم يبعث نبيًا قط إلا بالدعاء إلى توحيده، والإيمان به، وتنزيهه عما لا يليق به، والأمر بالعدل والإحسان، وبالشرائع التي هي صلاح كل زمانٍ، فالقرآن مصدقٌ لتلك الكتب في كل ذلك» (۱).

فتصديق القرآن بما سبقه من كتب دليلً على صدقه وصدقها، وبيان انتظامه في سلكها، وخروجه من المشكاة التي خرجت منها؛ وكتب الله تعالى يصدق بعضها بعضا. قال ابن القيم في هداية الحيارى: «لو لم يظهر محمدٌ بن عبد الله صلى الله عليه وسلم لبطلت نبوة سائر الأنبياء، فظهور نبوته تصديقٌ لنبواتهم، وشهادةٌ لها بالصدق، فإرساله من آيات الأنبياء قبله، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى بعينه في قوله: ﴿بَلَ سِبحانه إلى هذا المعنى بعينه في قوله: ﴿بَلَ عَلَمُ وَصَدَقَ الْمُسَلِينَ ﴾ [الصافات: ٣٧].

فإن المرسلين بشروا به وأخبروا بمجيئه، فمجيئه هو نفس صدق خبرهم، فكان مجيئه تصديقًا لهم؛ إذ هو تأويل ما أخبروا به، ولا تنافي بين هذا وبين القول الآخر: إن تصديقه المرسلين شهادته بصدقهم، وإيمانه بهم، فإنه صدقهم بقوله ومجيئه، فشهد بصدقهم بنفس مجيئه، وشهد بصدقهم بقوله، ومثل بنفس مجيئه، وشهد بصدقهم بقوله، ومثل هذا قول المسيح: ﴿بَنَيْنَ إِسْرَهِ بِلَ إِنِ رَسُولُ اللهِ لِنَكُمْ مُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَى مِن التَّورَيةِ وَمُبَيِّرًا مِرسُولُ اللهِ مِنْ بَعْدِى اللهُ مَتَّالًا بَيْنَ يَدَى مِن التَّورَيةِ وَمُبَيِّرًا مِرسُولُ اللهِ مِنْ اللهِ مِنْ اللهِ مَنْ اللهِ مَنْ اللهُ اللهِ مِنْ اللهِ مَنْ اللهُ الله

فإن التوراة لما بشرت به وبنبوته كان نفس ظهوره تصديقًا لها، ثم بشر برسولٍ يأتي من بعده، فكان ظهور الرسول المبشر به تصديقًا له، كما كان ظهوره تصديقًا للتوراة، فعادة الله في رسله أن السابق يبشر باللاحق، واللاحق يصدق السابق، فلو لم يظهر محمدٌ بن عبد الله ولم يبعث لبطلت نبوة الأنبياء قبله، والله سبحانه لا يخلف وعده، ولا يكذب خبره (٢٠).

ودعا الله تعالى أهل الكتاب للإيمان بالقرآن الذي جاء مصدقا لما معهم.

قال تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ أُوثُوا الْكِنَابَ المَّانَةِ الْمَكِنَابَ عَامِنُوا مِمَا نَزَلْنَا مُمَدِقًا لِمَا مَعَكُم مِن قَبْلِ أَن نَظْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدُهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ تَلْعَنَهُمْ كُمَا لَعَنَا أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا كُمَا لَعَنَا أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا

<sup>(</sup>٢) هداية الحياري، ابن القيم ٣/ ٢٩٧.

<sup>(</sup>١) المصدر السابق ١/ ٥٢٢.

[النساء: ٤٧].

ومعنى كونه مصدقا لما معهم: أي بما في كتبهم من بشارات واضحة تدل على بعثته وتقرر نبوته صلى الله عليه وسلم.

قال ابن جرير: "ويعني بقوله: ﴿مُعَكِمًا لَمَا مَعَكُم ﴾: أن القرآن مصدقٌ لما مع اليهود من بني إسرائيل من التوراة، فأمرهم بالتصديق بالقرآن، وأخبرهم جل ثناؤه أن في تصديقهم بالقرآن تصديقًا منهم للتوراة؛ لأن الذي في القرآن من الأمر بالإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه واتباعه نظير الذي من ذلك في الإنجيل والتوراة، ففي تصديقهم بما أنزل على محمد تصديقٌ منهم لما معهم من التوراة، وفي تكذيب منهم لما معهم من التوراة، وفي تكذيب منهم لما معهم من التوراة، التوراة،

وقال أبن كثير رحمه الله: «فيه تصديق الأخبار التي بأيديهم من البشارات» (٢).

وقال جل وعلا داعيا بني إسرائيل للإيمان بخاتم النبيين الذي جاء مصدقا بما معهم: ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُواْ أَوَلَ كَافِرٍ مِدِّ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَابَقِي مَعَكُمْ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَابَقِي مَعَكُمْ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَابَقِي فَيَا قَلْكُ كَافِرٍ مِدِّ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَابَقِي مَعَكُمْ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَابَقِي مَعَكُمْ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَابَقِي مَعَلَمْ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَابَقِي مَنْكُ قَلْهُ وَلِا لَهُ وَلِهُ مَنْكُواْ بِعَابَقِي اللهِ مِنْ اللهِ اللهِ مَنْ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ المُنْ اللهِ المَالِمُ اللهِ المَالِيَّ اللهِ اللهِ المَالمُولِي اللهِ المَالِمُ اللهِ المِلْمُ المَ

وهذه الآية دعوةٌ للإيمان بالقرآن العظيم وبنبوة النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم

الله عنه، رقم ٣٦٠١.

التي دلت عليها كتبهم فهي تصديقٌ لما جاء

احتج عليهم ونعى كيف لم يؤمنوا بهذا الكتاب مع مجيئه مصدقا لما معهم!

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ هُمْ كِنَابُ مِّنَ عِنْ عِنْ اللهِ مُصَدِقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ مِن مَعْهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَغْيَحُونَ عَلَى اللَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَ هُممَّا عَرَفُواْ كَفَرُوا مِنْ مَنْ اللَّهِ عَلَى الْكَنفِينَ عَرَفُواْ حِنْهُ اللّهِ عَلَى الْكَنفِينَ عَرَفُواْ حِنْهُ اللّهِ عَلَى الْكَنفِينَ اللّهِ عَلَى الْكَنفِينَ (١٩).

فبين تعالى حال كثيرٍ من اليهود الذين جحدوا وكابروا، مع ظهور الحجج وجلاء البراهين، على صدق نبوة إمام المرسلين، فيما جاء به من عند رب العالمين، فسارعوا إلى الكفر، ومع طول انتظارهم لداعي الحق وترقبهم لمبعثه. ومع مجيء القرآن مصدقًا لما بين أيديهم من البشارات والأخبار وتأكد كثيرٍ منهم من أوصاف هذا النبي الذي ينتظرونه، مع ذلك كله فقد كفروا به بغيًا وحسدًا وكبرًا وعنادًا، وطمعًا في أعراض دنيا فانية.

(١) جامع البيان، الطبري ١/ ٩٩٥.

<sup>(</sup>٣) عبد الله بن سلام: قصة إسلامه الرائعة المشهورة في صحيح البخاري، كتاب مناقب الصحابة، باب مناقب عبد الله بن سلام رضي

في كتبهم من بشارات، بدليل إسلام عديد من الأحبار والرهبان وغيرهم، حينما طابقوا ما جاء في كتبهم بما شاهدوه وعاينوه من أوصاف وأحوال نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام (٣)، وغيره.

<sup>(</sup>٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٩٧.

قال ابن عباس: كان يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هزمت يهود خيبر، فعاذت اليهود بهذا الدعاء، وقالت: اللهم إنا نسألك بحق النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم، قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء، فهزموا غطفان، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به، فأنزل الله ﴿وَلَمَّا عَلَهُمْ كِنَابُ مِنْ عِندِ اللهِ مُصَدِقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى اللَّذِينَ كَفَرُوا وَكَانُوا بِيدًا مَعَهُمْ فَلَمَا جَاءَهُمْ مَاعَرَقُوا حَفَوا بِهِ. فَأَنْ لَا اللَّهِ اللَّهِ مُصَدِقٌ لِمَا مَعَهُمْ فَلَا اللَّهُ عَلَى اللَّهِ مُصَدِقٌ لِمَا مَعَهُمْ فَلَا اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ عَلَى اللّهُ عَلْمَا عَلَهُ عَلَهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَهُ

كما نعى القرآن عليهم عداوتهم لأمين الوحي جبريل عليه السلام مع كون ما نزل به مصدقا لما معهم، قال جل وعلا: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلُهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلُهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشَرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ اللهُ اللهُلْمِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ

فتصديق الكتب السابقة من مقاصد نزول القرآن الكريم، ومن صفاته اللازمة، فكيف يعادون جبريل عليه السلام وهو أمين الوحي، نزل بالكتاب الذي جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتب!

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: (سمع عبد الله بن سلامٍ، بقدوم رسول الله صلى الله

أي: تصديقًا لما جاء في الكتب السابقة حيث تتفق القصص في مسارها العام، وإن اختلفت في تفاصيلها، فالقرآن الكريم هو القصص الحق لأنه من عند الله تعالى، وقد حفظ من التبديل، بينما الكتب السابقة وقع عليها التحريف والتبديل، وإن احتفظت بحقائق وأخبار صادقة، فجاء القصص القرآني مصدقا برسالات الله، داعيا للتأسي بالأنبياء والإيمان بما أنزل عليهم، كما جاء

<sup>(</sup>۱) انظر: أسباب النزول، الواحدي ٣/ ١٠. وأخرجه ابن إسحاق في سيرته ١٩٦/٢، والطبري في تفسيره ١/ ٤١٠، وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ١٧٢.

<sup>(</sup>۲) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب من كان عدوا لجبريل، رقم ٤٤٨٠.

مصدقا بما تبقى في كتبهم من حقائق، أما ما حرف فقد صدق القرآن بأصله الحقيقي، وأصل لنا المنهج القويم في معرفة الحقائق من الأباطيل وتمييز الأصيل من الدخيل.

فكلام الله تعالى يصدق بعضه بعضًا، وكل كتاب نزل مصدقا لما قبله. وتصديقه بالكتب السابقة أنها نزلت من عند الله تعالى على الأنبياء عليهم السلام، وتصديقه بما ورد في هذه الكتب من بشاراتٍ عن مبعث النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم ونزول آخر الكتب، وبما ورد فيها من عقيدةٍ وأحكام وآدابٍ وقصصٍ وأمثالٍ.

فالقران جاء مقرراً لما ورد في هذه الكتب من حقائق ثابتة. فحريّ بأهل الكتاب أن يؤمنوا بالقرآن الذي جاء مصدقا لما معهم، ولذا تقترن دعوتهم للإيمان بالقرآن ببيان كونه مصدقا لما معهم، فهذا أدعى لتصديقه، وتصديقه بأصل الكتب المنزلة أنها كلها من عند الله، أما الكتب المحرفة فقد جاء القرآن بتصديق ما تبقى فيها من حقائق لم تتبدل وأحكام لا تزال.

ولا يعني تصديقه لما سبقه من الكتب التطابق التام بينهما، بل للقرآن هيمنته على ما قبله، وله سماته التي تفرد بها، والتي تتفق مع مقاصد نزوله وتتفق مع كونه آخر الكتب. كما لا يتعارض تصديقه بها مع نسخه لبعض أحكامها، واستقلاله بأحكام لم ترد فيها،

بل ونسخه العمل بها جملة؛ فالإنجيل على سبيل المثال جاء مصدقا للتوراة مقرّرا لأحكامها وإن نسخ بعضها.

وتصديقه لما سبقه من الكتب دليلٌ على صدقه؛ إذ لو كان من عند غير الله لما وافق كلامه. وفي تصديقه ردٌ على مطاعن المشركين وأهل الكتاب وزعمهم بأنه مفترى، ولو كان كما يدعون فأي عبقرية! وأي براعة تلك التي جعلت محمدا يحاكي كلاما لم يدرسه ولم يعهده من قبل، وهو العربي الأمي! أي موافقة هذه ؟ وأي توارد أفكار وإلهام ذلك! وأي عقلٍ يمكنه تصديق أفكار وإلهام ذلك! وأي عقلٍ يمكنه تصديق تلك الفرية العجيبة، بل إن نزوله موافقا ومصدقا للكتب المنزلة لبرهانٌ جليٌ على أنه كلام الله، أدرك ذلك وآمن به كل من سمعه أو قرأه ممن له معرفة بالوحي الإلهي.

ثانيًا: القرآن هو المهيمن على الكتب السابقة جميعًا:

كما جاء القرآن مصدقا بما قبله من كتب فقد جاء مهيمنا عليها، حافظا ومؤتمنا، ومستوعبا ومبينا وحكما وإماما.

قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلِيْكَ الْكِتَلَبَ إِلْحَقِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَبِ وَمُهَيْمِنَا عَلَيْهِ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَنَّبِعَ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَكَعُمْ أَمَّةً وَحِدَةً وَلَكِن لِيَبَلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَنكُمْ فَاسْتَبِعُوا الْحَيْرَةِ فَاسْتَبِعُوا الْحَيْرَةِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَيِّفُكُمُ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَغْنَلِقُونَ ( الهائدة: ٤٨].

والهيمنة تعني: المراقبة والشهادة والحفظ والتمكن من الشيء، جاء في لسان العرب: «المهيمن اسمٌ من أسماء الله تعالى، وفي التنزيل: ﴿وَمُهَيّبِنًا عَلَيْهِ ﴾، قال بعضهم: معناه الشاهد، يعني وشاهدًا عليه، قال ابن عباس: المهيمن المؤتمن، وقال الكسائي: المهيمن الشهيد، وقال غيره: هو الرقيب، يقال: هيمن يهيمن هيمنة إذا كان رقيبًا على الشيء، وقيل: ﴿وَمُهَيّبِنًا عَلَي الشيء، وقيل: ﴿وَمُهَيّبِنًا عَلَى الشيء، وقيل: وقائمًا على الكتب»(١).

وقال الزمخشري: «هيمن الطائر على فراخه: رفرف عليها، وهيمن على كذا إذا كان رقيبًا عليه حافظًا، والله عز سلطانه المهيمن»(٢).

وقال الطبري: «وأصل الهيمنة: الحفظ والارتقاب، يقال إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده: قد هيمن فلانٌ عليه، فهو يهيمن هيمنة، وهو عليه مهيمنٌ»(٣).

فالقرآن حافظٌ أمينٌ لها، حفظ لنا هذه الكتب فحدثنا عنها، وهو حافظٌ لها يكشف

عما خالطها من تحريفٍ وداخلها من زيفٍ، فيقوم ما اعتراها من اعوجاج، وينفي ما لابسها من أباطيل وخرافاتٍ<sup>(٤)</sup>.

قال ابن جرير: القرآن أمينٌ على الكتب المتقدمة قبله، فما وافقه منه فهو حقٌ، وما خالفه منها فهو باطل، عن ابن عباس رضي الله عنه: «ومهيمنًا» أي شهيدًا: وكذا قال مجاهد وقتادة والسدي وقال العوفي عن ابن عباس: «ومهيمنًا» أي: حاكمًا على ما قبله من الكتب، وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله فهو: أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله هن.

والقرآن شاهدٌ عليها، وشاهدٌ على موقف أهل الكتاب منها، فالقرآن الكريم وعاءٌ للكتب السابقة، حيث حدثنا عن مقاصدها وصفاتها، وأخبرنا عما تضمنته من أحكام وآداب وقصص وأمثال ووعد ووعيد وأخبار ونبوءات ووصايا وبشارات، وهذا من حفظه لهذه الكتب وتوثيقه لها، قال ابن جريج: «القرآن أمينٌ على ما قبله من الكتب» (١٠).

وقال الزمخشري: ﴿ ﴿ وَمُهَيِّمِنَّا عَلَيْهِ ﴾

<sup>(</sup>۱) انظر: لسان العرب، ابن منظور ۲۳/ ٤٣٦، والقبان الميزان.

<sup>(</sup>٢) أساس البلاغة ٢/٥.

<sup>(</sup>٣) جامع البيان، الطبري ٨/ ٤٨٦.

<sup>(</sup>٤) وقد أشار لهذا المعنى د.محمد عبد الله دراز في كتابه: الدين، ص ١٨٩.

<sup>(</sup>۵) انظر: جامع البيان، الطبري ۸/ ٤٩٠، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٥/ ٢٤٦.

<sup>(</sup>٦) معالم التنزيل، البغوي ٣/ ٦٥.

ورقيبًا على سائر الكتب؛ لأنه يشهد لها بالصحة والثبات» (١).

كذلك جمع القرآن وحوى ما سبقه من الكتب، بل جاء متممًا لها، ناسخًا لبعض أحكامها؛ لذا فهو المرجع يحتكم إليه، عند التنازع في شأنها، والقرآن يغني عما سواه، ولا يغني ما سواه عنه.

قال ابن جرير: «جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأكملها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها، وتكفل تعالى حفظه بنفسه الكريمة فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَمَدُ لَكُونِظُونَ اللهِ الحجر: ٩]» (٢).

وقال السعدي: «مشتملا على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية، فهو الكتاب الذي تتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه» (٣).

جاء القرآن الكريم ينفي عن التوراة انتحال المبطلين وإنكار الجاحدين، وتأويل الجاهلين، فعندما أنكر نفرٌ من اليهود نزول

(١) الكشاف، الزمخشري ٢/ ٣٢.

(۲) انظر: جامع البيان، الطبري ٤٩٠/٨، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٤٦/٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٢٣٤.

الوحي على الأنبياء أنزل الله تعالى قوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى

بَشَرِ مِّن شَيْءٌ قُلُ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَبَ الَّذِي جَآء بِهِ عَمُوسَىٰ فُورًا وَهُدُى اللّهَ اللّهَ مَعْمَلُونَهُ قَرَاطِيسَ البُدُونَهَا مُوسَىٰ فُورًا وَهُدَى اللّهَ اللّهَ مَعْمَلُونَهُ قَرَاطِيسَ البُدُونَهَا وَكُمْ أَنْهُ وَلَا عَابَا وَكُمْ أَنْهُ وَلَا عَابَا وَكُمْ أَنْهُ وَلَا عَابَا وَكُمْ أَنْهُ وَلَا عَابَا وَكُمْ أَلَهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

وعندما ادعى اليهود أن لحم الإبل محرمُ في دينهم وكتابهم أنزل الله تعالى قوله: ﴿ فَكُلُ الطَّمَامِ كَانَ حِلَا لِبَنِيَ إِسْرَهِ بِلَ إِلَا مَكُنَ مَلَ الله تعالى قوله: ﴿ فَلَ الطَّمَامِ كَانَ حِلَا لِبَنِيَ إِسْرَهِ بِلَ إِلَا مَنْ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ الكَذِب مِنْ اللهُ فَاتَبِهُ فَا اللهِ الكَذِب مِنْ اللهُ فَاتَبِهُ فَا اللهِ الكَذِب مِنْ اللهُ فَا اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ فَا اللهِ اللهُ ال

ويعين أحكامها المنسوخة ببيان انتهاء

مشروعيتها المستفادة من تلك الكتاب

وانقضاء وقت العمل بها» (۲).

🥮 لأنه جاء مستقلا، لم يحتج إلى بيان

ما قبله، بينما لا غنى بما قبله عنه، قال

ابن تيمية رحمه الله: «وأما القرآن فإنه

مستقل بنفسه لم يحوج أصحابه إلى

كتاب آخر، بل اشتمل على جميع

ما في الكتب من المحاسن؛ وعلى

زياداتٍ كثيرةِ لا توجد في الكتب؛

فلهذا كان مصدقًا لما بين يديه من

الكتاب، ومهيمنًا عليه، يقرر ما فيها من

الحق، ويبطل ما حرف منها، وينسخ

ما نسخه الله، فيقرر الدين الحق، وهو

جمهور ما فيها ويبطل الدين المبدل

الذي لم يكن فيها، والقليل الذي نسخ

فيها؛ فإن المنسوخ قليلٌ جدًا بالنسبة

إلى المحكم المقرر، والأنبياء كلهم

دينهم واحدٌ، وتصديق بعضهم مستلزمٌ

تصديق سائرهم وطاعة بعضهم تستلزم

الأنه نقل إلينا متواترا؛ بخلاف الكتب

السابقة، فلقد انقطعت أسانيدها

واندثرت أصولها، قال ابن كثير: «أمينٌ

وشاهدٌ وحاكمٌ على كل كتابٍ قبله،

شَيْعًا أَوْلَكِيكَ ٱلَّذِينَ لَرَ يُودِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِرَ قُلُوبَهُ مُّ لَكُمُّمُ فِٱلدُّنْيَا خِزْقُ وَلَهُ مَ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ عَظِيدُ ۞ ﴾ [المائدة: ٤١].

قال ابن عطية: «المهيمن على الشيء هو المعني بأمره، الشاهد على حقائقه، الحافظ لحاصله، ولأن يدخل فيه ما ليس منه والقرآن جعله الله مهيمنًا على الكتب يشهد بما فيها من الحقائق، وعلى ما نسبه المحرفون إليها، فيصحح الحقائق ويبطل التحريف، وهذا هو شاهدٌ ومصدقٌ ومؤتمنٌ وأمينٌ» (۱).

لماذا هيمنة القرآن ؟

- 🧇 لأنه آخر الكتب فكان مصدقًا لما قبله.
- لأنه كتابٌ محكمٌ، العمل به قائمٌ ما دامت السموات والأرض، بينما نسخ ما قبله.
- لأنه سلم من التبديل والتحريف؛ فالله
   تعالى تكفل بحفظه وبيانه.
- لأنه حكمٌ على هذه الكتب وعلى أصحابها، يفصل بينهم ويحسم نزاعهم ويبين ما خفي عليهم.
- لأنه جاء مستوعبا لهذه الكتب حكما وشاهدا ورقيبا عليها، قال أبو السعود: «ومهيمنا عليه أي: رقيبًا على سائر الكتب المحفوظة من التغيير لأنه يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر أصول شرائعها وما يتأبد من فروعها،

طاعة سائرهم»(٣).

<sup>(</sup>٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٣/ ٤٥.

<sup>(</sup>٣) معارج الوصول، ابن تيمية ص١٤.

<sup>(</sup>١) المحرر الوجيز، ابن عطية ٢٩٩/ باختصار.

جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأكملها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها، وتكفل تعالى حفظه فقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَهَنَّ نُزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ حفظه فقال تعالى: ﴿ إِنَّا لَهَنَّ نُزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا الدِّكُونَ وَإِنَّا الدِّكُونَ الحجر: ٩](١).

وقال الشيخ دراز رحمه الله في كتابه النبأ العظيم: «سر اختصاص القرآن بالخلود وعدم التحريف دون الكتب السابقة: أن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأبيد، وأن هذا القرآن جيء به مصدقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليها، فكان جامعًا لما فيها من الحقائق الثابتة، زائدًا عليها بما شاء الله زيادته، وكان سادًا مسدها، ولم يكن شيء منها ليسد مسده، فقضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة، وإذا قضى الله أمرًا يسر له أسبابه، وهو الحكيم العليم»(٢).

ولأنه أفضل الكتب وأعظمها أثرا وأعلاها أثرا وأعلاها رتبة، قال ابن تيمية: «ومعلومٌ أن المهيمن على الشيء أعلى منه مرتبةً "(").

### ثالثًا: القرآن مبين للحق الذي اختلف فيه أهل الكتاب أو كتموه:

جاء القرآن الكريم مبينا كثيرًا مما أخفاه أهل الكتاب من الكتاب من الحقائق والوقائع، وكشف عن كثير من الحوادث التي طمسوها أو تناسوها، أو اختلط فيها الحق بالباطل، كقصة البقرة، وقصة أصحاب السبت، وقصة إبراهيم، وقصة يوسف، وقصة موسى.

فبعد أن تحدث القرآن عن أحوال الطائفتين وأبان عن حقائق وأمور لا يمكن لنبي عربي أمي أن يعرفها، ولا سبيل لمعرفتها إلا بوحي من الله تعالى، دعاهم إلى الإيمان بهذا النبي الذي جاء ليبين لهم كثيرا مما أخفوه من الحقائق التي وردت في التوراة والإنجيل والتي أخفاها بعض الأحبار والرهبان عن أتباعهم، ولا يزالون. قال ابن عباس رضي الله عنه: «أخفوا آية الرجم من التوراة وبينها الرسول صلى الله

عليه وسلم لهم، وهو لم يقرأ كتابًا ولم يتعلم

علمًا من أحد، وهذه معجزةٌ، وأخفوا صفة

<sup>(</sup>١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٣٣٨.

<sup>(</sup>٢) النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز ص٤٢.

<sup>(</sup>٣) رسالة جواب أهل العلم والإيمان أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ص. ٢.

محمد عليه الصلاة والسلام في الإنجيل، وغير ذلك، فلما أخبرهم بأسرار ما في كتابهم كان ذلك إخبارًا عن الغيب فيكون معجزًا» (١).

وقوله: ﴿وَيَعَفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ مما لا تدعو الحاجة لبيانه، أو لأن فيما بينه الكفاية والغنية، وهذا من أدبه صلى الله عليه وسلم ومن شيمه الكريمة أنه يرغب ويشوق، فتقبل القلوب وتصغي الآذان إلى حديثه الطيب، وأنه يعرض ويتغاضى حتى لا تمل العقول وتنفر النفوس. ﴿قَدْ جَاءً كُم مِن الله عليه وسلم نور من الله تعالى؛ لأنه جاء بالهدى والحق، والقرآن نورٌ وكتاب مبينٌ لأنه أضاء للناس طريقهم، وأنار دروبهم، وأبان لهم ما خفي عليهم، وبدد ظلام الشك والحيرة، وأزال أسباب اللبس والإشكال.

فجاء القرآن بالبيان الجلي بعد فترة من انقطاع الرسل؛ لئلا يكون لأهل الكتاب عذر:

قال جل وعلا: ﴿ يَنَاهُلَ الْكِنَابِ مَدَّ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَوْ مِنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنْ بَشِيرِ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ مَا خَآهَ عَلَىٰ كُلِ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ فَقَدْ جَآءَكُمْ

[المائدة: ١٩].

فلقد كان المؤمنون من أهل الكتاب يذوبون شوقًا وحنينًا لزمان بعثة هذا النبي الذي ينتظرونه، ولا شك أن نزوله بعد طموس الملل ودروس السبل، وفترة من الرسل أدعى إلى المبادرة للإيمان به، ومناصرته ومحبته، لا إلى مناصبته العداء وجحوده والتآمر عليه. وقد جاء القرآن بالبيان القاطع والبرهان الساطع؛ لئلا يكون لهم على الله حجة ولا يبقى لهم عذرٌ.

وبيان القرآن الكريم يحسم الاختلاف الذي وقع فيه أهل الكتب السابقة.

فلقد تسلط الشيطان عليهم بعد أن زين لهم سوء عملهم، مما أفضى بهم إلى الضلال وأوقع بينهم الخلاف، بعد أن لبس الباطل ثوب الحق، وارتدت الشياطين مسوح الرهبان؛ ليصدوا الناس عن الحق، من هنا كانت حاجة الإنسانية إلى الكتاب الراشد الذي يبين الحق، ويزيل الحيرة، ويفصل الآيات، ويحسم النزاعات، ويقطع الخلافات، ويبدد ظلام الشبهات، ويقيم

<sup>(</sup>١) أخرجه الحاكم في المستدرك، ٣٥٩/٤، كتاب الحدود.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ولم يتعقبه الذهبي.

الحجة والبرهان، ويبين طريق الهداية، وينشر بشائر الرحمات بين أهل الإيمان. «نورٌ يكشف معالم الطريق إلى الحق والخير، ويقيم لمن يهتدي به فهمًا صحيحًا للعقيدة التي يعتقدها.. فالقرآن الكريم ميزان عدلٍ وحقّ، وفيصل ما بين الحق والباطل وحكم ما بين الخير والشر.. فما استقام على ميزانه، فهو الحق والخير، وما انحرف عنه، فهو الباطل والضلال.. فعلى هديه يجتمع أهل الكتاب على كلمةٍ سواءٍ منه، فيما اختلفوا فيه، وإليه يحتكم أهل الهدى، فيقضي بينهم بما يرفع الخصام والشقاق فيما كان سببًا في خصامهم وشقاقهم» (۱).

قال جل وعلا: ﴿إِنَّ مَنْذَا ٱلْقُرُوانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيَ إِسْرَوَهِ بِلَ أَكْثَرُ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَغْتَلِفُونَ النمل: ٧٦].

فبعد ما مر في تلك السورة الكريمة من القصص الحق، قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه، وقصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ وقومها، وقصة صالح عليه السلام، وقصة لوط عليه السلام وبعدما أورد الله في السورة من دلائل التوحيد وشواهد القدرة ومشاهد العظمة الربانية، وشواهد الفصل الذي يحسم الخلاف، بالقول الفصل الذي يحسم الخلاف،

والشرائع، فقد اختلفوا في التوحيد والنبوة والبعث اختلافهم في شأن الملائكة، وغير ذلك من أركان الإيمان، وإنما انبثق الاختلاف عن تعصبهم وركوبهم متن الهوى، وركونهم وحبهم لمباهج الدنيا، ونسيانهم وجحودهم، وعنادهم وغفلتهم، وجمودهم وقسوتهم.

فجاء القرآن قولا فصلًا، وحكمًا عدلًا، وميزانًا قويمًا، ودعوةً لتوحيد الكلمة، ونبذ الخلاف، ومحو أسبابه، واجتثاث جذوره، وسد أبوابه، لجمع شتات القلوب، وتأليفها على كلمة سواء.

ومن أمثلة الاختلاف اختلافهم في شأن عيسى عليه السلام حتى تفرقوا وتحزبوا، فاليهود افتروا عليه وبهتوه وأمه، وغمطوه ومكروا به، والنصارى غالوا فيه وأطروه حتى عبدوه، مع اختلافهم الحاد في طبيعته، منهم من قال: إنه إله أو نصف إله، ومنهم من يزعم أنه ابن الإله، وبين ذلك وحوله أقوالً وأراءٌ لا تنحصر، كذلك اختلافهم في أمر البعث، هل يقع بالروح والجسد أم بالروح وحدها؟

واختلافهم في حكم الرجم، ومثل اختلافهم في حكم الطلاق وتعدد الزوجات، وغير ذلك من وجوه الاختلاف وصوره التي لا حصر لها، والتي مرجعها إلى تحريفهم ونسيانهم وتبديلهم وكتمانهم ولجاجهم

<sup>(</sup>١) التفسير القرآني للقرآن، ألخطيب ١/٢٤٦.

ونكوصهم، وتمردهم وعصيانهم وركوبهم متن الهوى وارتيادهم سبل الغواية.

قال الرازي: «بين الله تعالى أولًا كونه معجزة من وجوه، أحدها: أن الأقاصيص المذكورة في القرآن موافقة لما كانت مذكورة في التوراة والإنجيل، مع العلم بأنه عليه الصلاة والسلام كان أميًّا وأنه لم يخالط أحدًا من العلماء، ولم يشتغل قط بالاستفادة والتعلم؛ فإذن لا يكون ذلك إلا من قبل الله تعالى. واختلفوا فقال بعضهم: أراد به ما اختلفوا فيه وتباينوا، وقال آخرون: أراد به ما حرفه بعضهم، وقال بعضهم: بل أراد به أخبار الأنبياء. والأول أقرب» (1).

رابعًا: وجوب الإيمان بالقرآن من أتباع الكتب السابقة جميعًا:

لا يسع أهل الكتاب إلا أن يؤمنوا برسالة خاتم النبيين وكتاب رب العالمين الذي ختم به، فإيمانهم بخاتم النبيين من مقتضيات إيمانهم بمن سبقه من الأنبياء وبما قبله من الكتب، وبما فيها من بشارات، فمن ثمرات إيمان أهل الكتاب بالتوراة والزبور والإنجيل إيمانهم بخاتم النبيين والمرسلين نبينا محمد بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم، فمن عاش منهم قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم كان على أمل وشوق لأن يستظل بزمانه فيؤمن به، ومن

عاصره وتجرد للحق آمن به وصدقه وآزره، حيث قاده الإيمان بالبشارات والنبوءات للإيمان بالنبي الخاتم صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللهِ اللهِ عَلَيهُ وَسَلَمُ اللهِ عَلَيْهُ وَسَلَمُ اللهِ عَلَيْهُ وَسَلَمُ اللهُ عَلَيْهُ وَاللهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَيْهُ عِلَالْكُوالِكُولُ عَلَيْهُ عَلَالْمُ عَلَيْهُ عَلَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَّا عَلَّا عَلَّا عَلَالّهُ عَلَّا عَلَّا عَلَاكُ عَلَّا عَلَاكُوا عَلَالِهُ عَلَّا عَلَّهُ

﴿ وَمَن يَبْتَغ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُو فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَلْسِرِينَ ( الله عمران: ٨٥].

وفي الحديث عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌ ولا نصرانيٌ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) (٢).

وقد صور لنا القرآن فرح مؤمني أهل الكتاب وشغفهم وابتهاجهم بالإسلام.

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ ٱلْكِتَبَ يَقْرَحُونَ بِمَا أَنْزِلَ إِلَيْكُ وَمِنَ ٱلْأَخْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ أَهُ قُلْ إِنَّمَا أَرْبَتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ \* إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَثَابِ ﴿ ۞ ﴾ [الرعد: ٣٦].

حيث يعبر القرآن عن تلك السعادة الغامرة، والفرحة العارمة، التي يعيشها من قاده الإيمان بالتوراة والإنجيل، إلى دين الحق، ونبي الإسلام، وكتاب الله الخالد،

<sup>(</sup>۲) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، رقم ١٥٣.

<sup>(</sup>١) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٤/ ١٨٥.

الذي أحيا الله به القلوب، وشرح به الصدور، سيما وقد وجدوا القرآن مصدقا لما بين أيديهم، وأبصروا الرسول مطابقًا للبشارات، فنالوا مرادهم، وظفروا ببغيتهم، ورست سفينة البحث على مرفأ اليقين، فأضحت الحياة في ظلال الإيمان أفراحًا متواصلةً، أنوارًا من مصابيح الهدى، وأنداءً على أكاليل السكينة، ونفحاتٍ من أريج المحبة.

وإن كان هناك من حرم من هذه اللذة، وعزف عن هذا النعيم، حين تحزب للباطل، ووقف في صف الكفار، يقاسمهم العداوة، ويشاركهم التصدي للدين الحق، منكرين منه ما خالف أهواءهم، وبدد أوهامهم، ونقض أباطيلهم.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَخْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَدُّ ﴾ إنكارٌ لا برهان عليه، ولا مستند له إلا الركون للهوى وإيثار الباطل، لكن لا ينبغي أن يثني ذلك المؤمنين عن دعوتهم، ويصرفهم عن غايتهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَلْ إِنَّمَا أَرْرَتُ أَنَ أَعَبُدَ اللّهَ وَلا أَشْرِكَ بِهِ اللّهَ وَلا أَنْ أَعَبُدَ اللّهَ وَلا أَشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَثَابٍ ﴾ فالمؤمن لا يضره كثرة الهالكين، ولا يضيره قلة السالكين، بل يحيا لغاية ويعيش لرسالة، هي تحقيق العبودية لله رب العالمين.

قال القاسمي: ﴿ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ ٱلْكِتَابَ
يَفْرَحُونَ بِمَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ ﴾ لأنه يحصل لهم

به من المعاني والدلائل وكشف الشبهات ما لم يحصل لهم من تلك الكتب السالفة، قيل: عنى بهم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام، فإنهم يفرحون بما أنزل من القرآن؛ لما يرون فيه من الشواهد على حقيته التي لا يمترى فيه، ومن المعارف والمزايا الباهرة التي لا تحصى» (١).

ويضرب الله المثل بموقف من آمن بأهل المثل الكتاب فيقول تعالى: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَهُ وَبِالْحَقِ آَنزَلْنَهُ وَبِالْحَقِ تَزَلُّ وَمَا آرْسَلْنَكَ إِلَا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿ اللهِ وَقَرْءَانَا فَرَقْنَهُ لِنَقْرَآهُ عَلَى النّاسِ عَلَى مُكْثِ وَنزَلْنَهُ نَنزيلا ﴿ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُولِي اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ

فإيمان من آمن من أهل الكتاب بالقرآن حريٌ أن يضرب به المثل، فإنه صادرٌ عن علم صادق، ونابعٌ من شوق دافق، فإذ بالجباه وقد سجدت عند سماع الحق، وإذ بالقلوب وقد أيقنت بوعد ربها على لسان رسله، وفي صفحات كتبه، وعده الذي تحقق ووعده الذي توقن بأنه سيتحقق، وإذ بالعيون وقد ذرفت فرحًا واستبشارًا، وهيبةً وإجلالا، مما يزيدهم خشوعا على خشوعهم.

(١) محاسن التأويل، القاسمي ٦/ ٢٨٩.

وفي صورة مشرقة ومشهد رائع إيمان القساوسة والرهبان بكتاب الله تعالى الذي بشرت به الكتب السابقة يقول تعالى: ﴿ الله تَجَدَنَّ أَشَدَّ أَلنَّاسِ عَدَوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ الْمَيهُودَ وَالَّذِينَ وَالْمَنُواْ الْمَيهُودَ وَالْمَينِينَ وَالْمَنُواْ الْمَيهُ وَالْمَيْ وَالْوَاْ إِنّا نَصَكَمَرَيْ وَالْمَيْ وَالْمَا الْمَيهُ وَالْمَيْ وَالْمَا اللهُ وَوَالْمَا اللهُ وَالْمَا اللهُ وَمَا اللهُ وَمِنْ وَاللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللهُ وَمِنْ وَاللّهُ وَمَا اللّهُ وَاللّهُ وَمَا اللّهُ وَاللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَاللّهُ وَمَالِعُولُونَ وَاللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَاللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَمَا اللّهُ وَمَا اللّهُ وَاللّهُ وَ

فقد سطر القرآن تلك الصفحات المضيئة في حياة المؤمنين من النصارى، وصور تلك السعادة التي تغمرهم عندما تطرق مسامعهم كلمات الله التي أنزلها على خاتم رسله في ختام كتبه، تسري تلك الكلمات إلى قلوبهم، بعد أن تدوي في حناجرهم، فيفيض الدمع من محاجرهم، فرحًا وابتهاجًا، ورهبة وإجلالًا، فقد التقى القرآن مع ما سبقه من الكتب في سبيل الهدى وميدان الحق، فابتهجت القلوب ولهجت الألسنة: ﴿رَبُّنَا فَالْكَبُنُ مَعَ الشّهِدِينَ ﴾.

إنه إيمانٌ يقينيٌ وشعورٌ حقيقيٌ قائمٌ على

علم وبصيرة، وماض إلى تحقيق الثمرات المرجوة والآمال العظيمة ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُوّمِنُ المرجوة والآمال العظيمة ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُوّمِنُ المَم وَمَا أَنَا لَا نُوّمِنُ الْمَح وَمَا خَاءَ نَا مِنَ الْمَح وَنَظَمَعُ أَن يُدُخِلَنا رَبّنا مَع الْقَوْمِ الصّلوبينَ ﴾، إيمانُ خالصٌ ورجاءً صادقٌ، ﴿ فَأَتْبَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن قَيْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِينَ فِيها وَذَلِكَ جَزَاءً مِن قَيْتها الْأَنْهارُ خَلِينَ فِيها وَذَلِكَ جَزَاءً المُتحسِنِينَ ﴾: حقق الله رجاءهم وبلغهم مرادهم؛ فهو الكريم يثيب بالإحسان إحسانًا، ويجزي بالإيمان نعيمًا ورضوانًا.

#### موضوعات ذات صلة:

إبراهيم عليه السلام، الإنجيل، التوراة، داود عليه السلام، عيسى عليه السلام، محمد عليه السلام، موسى عليه السلام